
3 me Année, No. 118.

Lundi-7-10-1935

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

| | |
|---|---|
| ٦٠ | فى مصر والسودان |
| ٨٠ | فى الأقطار العربية |
| ١٠٠ | فى سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | فى العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ١١٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ رجب سنة ١٣٥٤ — ٧ أكتوبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة


فهرس العـــــدد



# المثنى بن حارثة

على ذكر « نادى المثنى » ببغداد

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

كانت قبائل ربيعة ضاربة شرقىّ نجد ، موغلة إلى الشمال حتى أعالى الفرات . . وكانت الوقائع تثور بينهم وبين الفرس فى الحين بعد الحين ، فكانوا أجرأ العرب على فارس ، وكان العرب يسمون فارس الأسد ، فسموا ربيعة « ربيعة الأسد »

وكان بنو شيبان من هامات ربيعة فى الجاهلية ، وهم كانوا أبطال « ذى قار » ، وامتد بهم المجد فى الاسلام فكان منهم بيوتات لها فى الحرب والمكارم مآثر . يقول أبو تمام :

أولاك بنو الأفضال لولا فعالهم ... دَرِجن فلم يوجد لمكرمة عقب
لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد ... وحيد من الأشباه ليس له صحب
به علمت صُهب الأعاجم أنه ... به أعربت عن ذات أنفسها العُرب

هو المشهد الفرد الذي ما نجا به
لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صُلْب

— ٢ —

وقد امتدت أحقاد ذي قار بين الفرس وبني شيبان خاصة ، وقبائل بكر عامة ؛ حتى كان بنو شيبان طلائع الفتح الاسلاميّ في العراق : لما عمّ الاسلام الجزيرة وتوطد سلطانه سمع أبو بكر بوقائع سيد من شيبان في سواد العراق فقال : من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ؟ قال قيس بن عاصم المنقري : « هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد ؛ هذا المُثَنَّى بن حارثة الشيباني »

ثم قدم المثنى على أبي بكر يسأله أن يؤمره على قومه ففعل . وكان المثنى من قبل على قومه أميراً ، وبقي من بعدُ أميراً يستعينه الأمراء إذا حضروا ، ويستخلفونه إذا غابوا ، حتى مات بين مآثر مشكورة ، ومناقب محمودة . وقد صدق عمر حين سماه : « مؤمّر نفسه »

وبعث المثنى أخاه مسعوداً إلى الخليفة يستمدّه فأرسل خالداً إلى العراق ؛ فلما نزل خالد النِّباج كتب إلى المثنى وهو معسكر بخفّان ليأتيه ، وبعث إليه بكتاب من أبي بكر يأمره بطاعته . قال الطبري : « فانقضّ إليه جواداً حتى لحق به » . فانظر إلى الرجولة كيف تسارع إلى الطاعة !

ولما توجه خالد إلى الشام استبد المثنى بإمرة العراق ، وكان بطل موقعة بابل وفيها قَتَل الفيل

قال الفرزدق يعدد بيوتات بكر :

وبيت المثنى قاتلِ الفيل عَنوة ببابل إذ في فارسٍ مُلك بابل

ثم سار المثنى إلى أبي بكر ليخبره بجليّة الأمر في العراق ، فوافاه مريضاً قد أشفى ، فأوصى أبو بكر عمر قال : « فإن أنا مت فلا تمسينّ حتى تندب الناس مع المثنى . » وسار الناس إلى العراق وأميرهم أبو عبيد الثقفي . فلما كانت موقعة الجسر التي زُلزل فيها المسلمون وقُطع جسر الفرات وراءهم فتهافتوا في الماء وقف المثنى في أنجاد من العرب ينادي : « أيها الناس ! إنّا دونكم فاعبروا على هينتكم ، ولا تدهشوا ، فانا لن نزايل حتى نراكم في ذلك الجانب » . وحمى المثنى الناس حتى عبروا . ثم خلق المثنى من الفلول المهزومة يوم الجسر نصراً باهراً في موقعة البُوَيب برأيه وسياسته وشجاعته ، واحتسب فيها أخاه مسعودا ؛ ثم تكاثر الفرس عليه فكتب إلى عمر ، فأمره أن يتنحّى بالناس حتى يأتيه أمره . ثم أرسل عمر سعد بن أبي وقاص في حشد عظيم ، وانحاز المثنى إلى ذي قار . وقدم سعد إلى زَرود ينتظر المثنى ، ولكن الأسد المرزأ ، والمِسْعَر المجرّب ، انتقضت به جراحات يوم الجسر . فبينما سعد يرجو مقدمه جاءته وصيته تحملها امرأته سلمى وأخوه المعَنّى . عمل سعد بوصية المثنى وأمّر أخاه مكانه ، ثم تزوج امرأته . وقد شهدت سلمى وقعة القادسية ، فلما حمي الوطيس ؛ واستكلب الموت على الأبطال ، نظرت فلم تجد المثنى يسوس الأنجاد ، ويقود الجلاد ، فصاحت : « وامثنّياه ! ولا مثنى اليوم للخيل » . مات المثنى وشهد له التاريخ أنه « كان شهماً شجاعاً ميمون النقيبة حسن الرأي . أبلى في حروب العراق بلاء لم يُبله أحد »

— ٣ —

فيا شباب بغداد الذين أنشأوا نادي المثنى ليحيوا ذكره ! اذكروا فيه الرجولة الكاملة ، والشجاعة البالغة ، والجد والسؤدد ، والعمل المخلّد . اذكروه قائداً مقداماً ، وأميراً حازماً ، وسيداً مطاعاً ، وجندياً مطيعاً . اذكروه حراً أبيّا ، ومثلا عربيّا ، وخُلقاً عالياً . واستمدوا من ذكراه وذكرى أمثاله أخلاقاً صلبة تقيكم رخاوة الحضارة ، وعزيمة ماضية ترفعكم عن ذلة الرفاهية ، وتقتحم بكم الأهوال إلى الغاية البعيدة والأمل العظيم . ثم اذكروا أن المثنى فتح العراق جندياً مُسْلماً ، فاذكروا الاسلام ومجده واعتصموا بأخلاقه ، واستمسكوا بمعاليه . وسيروا قُدُماً في « العروبة ، وهداية الاسلام ، وأنتم الأعلون والله معكم »

عبد الوهاب

# ٣ ـ الجمال البائس

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال الراوى :

نظرتُ إليها ونظرتْ . أما هى ، فرَنَتْ إليّ فى سكون ، وكانت نظرتها معاتَبَةً طويلة فيها التملُّقُ والتوجُّع ، وفيها الانكسارُ والفتور ، وفيها الاسترخاءُ والدلال

وبَينا كان طَرْفُها ساجياً فاتراً كأنه ينظرُ أحلامَه ، إذْ حدَّدته إليّ فجأةً ونظرتْ نظرةَ مدهوش ، فبدتْ عيناها فزعتين ولكن فى وجهٍ مطمئن

ثم لم تكدْ تفعل حتى ضيَّقتْ أجفانها وحدَّقت النظرَ متلألئاً بمعانيه ، فبدت عيناها ضاحكتين ولكن فى وجهٍ متألم

ثم ابتسمتْ بوجهها وعينيها معاً ، وأتمتْ بذلك أجلّ أساليب المرأةِ الجميلة المحبوبة فى اعتراضها على من تحبه ، وجدالها مع فكره ، وكسْر حُجته فى كبريائه ، وانتزاع الفكرة المستقلّة من نفسه

وأما أنا ؛ فكانَ نظرى إليها ساكناً متألماً يقرُّ أنه عجز عن جواب عينيها ، وسيبقى عاجزاً عن جواب عينيها . . . .

إن وجهها هو الابتسامُ ورُوحُ الابتسام ، وجسمها هو الاغراءُ وروحُ الاغراء ، وفنها هو الفتنةُ ورُوحُ الفتنة ، وهى بهذا كلّه ، هى الحبُّ وروحُ الحب . غير أن فهمها على حقيقتها فى الناس يجعلُ ابتسامها عداوةً من وجهها ، وإغراءها جريمةً لجسمها ، وفنها رذيلةً فى جمالها ، وهى بهذا كله ، هى الشقاءُ وروحُ الشقاء

***

أمّا إنى أحبُّ فنَعم ونعِمَّا ، بل أراه حباً قاتلاً كبِدى ، وليس يخلو فؤادى أبداً من سوالف حُب مضى ؛ وأما إنى أسترْذِلُ فى الحب وأمتهن فضيلتى وأنزلُ بها — فلا وأبدا

إن ذلك الحب هو عنــدى عملٌ فنيٌّ من أعمال النفس ، ولكن الفضيلةَ هى النفسُ ذاتها ؛ والحبُّ أيامٌ جميلة عابرةٌ فى زمنى ، أما الفضيلةُ فهى زمنى كله ؛ وذلك الجمالُ هو قوة من جاذبيــة الأرض فى مدتها القصيرة ، ولــكن الفضيلةَ جاذبيةُ السماء فى خلودها الأبدى

على أنه لا مُنَافرةَ بين الحب والفضيلة فى رأيى ، فإن أقوى الحب وأملأه بفلسفة الفرح والحزن لا يكون إلا فى النفس الفاضلة المتورعة عن مُقَارَفَةِ الاثم . وههنا يتحول الحبُّ إلى ملَكَةٍ سامية فى إدراك معانى الجمال ، فيكون الوجهُ المعشوقُ مصدرَ وحى للنفس العاشقة . وبهـذا الوحى والاستمداد منه ينزل الحبُّ من المحبوب منزلةَ من يرتفع بالآدميَّة إلى الملائكية(١) ليتلقى النورَ منها فناً بعد فن ، والفرح معنى بعد معنى ، والحزن السماوىَّ فضيلةً بعد فضيلة

فهذا الحبُّ هو طريقةٌ نفسيّةٌ لاتساع بعض العقول المهيَّأة للالهام كى تُحيط بأفراح الحياة وأحزانها ، فتُبدعَ للدنيا صورةً من صور التعبير الجميلة التى تُثير أشواق النفس . كأن كلّ محب وحبيبته من هؤلاء الملهمين ، هما صورةٌ جديدةٌ من آدمَ وحواء ، فى حالةٍ جديدة من معنى ترك الجنة ، لايجاد الصورة الجديدة من الفرح الأرضي والحزن السماوى

والخطَرُ فى الحب ألا يكونَ فيـه خطر . . . . فهو حينئذ نداءُ الجنس ، لا يكون إلا دنيئاً ساقطاً مبذولاً فلا قيمةَ له ولا وحى فيه ، إذ يكون احتيالاً من عمل الغريزة جاءت فيه لابسةً ثوبَها النورانىَّ من شوق الروح لتخدعَ النفسَ الأخرى فيتصلَ بينهما ، حتى إذا اتصل بينهما خلعت الغريزةُ هـذا الثوب واستعلنتْ أنها الغريزةُ فانحصر الحبُّ فى حيوانيته وبطلت أشواقه الخياليةُ أجمع

***

قال الراوى : وعرفت الحسناءُ هذا كله من عرضها نظرةً وتلقّيها نظرةً غيرها ، فقالت للأستاذ ( ح ) : أما أن يكون مع أثر الشعر والفكر فى الجمال ودعوى الحب أثرُ الزهد فى الجسم الجميل وادّعاء الفضيلة — فإنّ بعيداً أن يجتمعا

قال ( ح ) : وأين تُبعدينه ويحك عن هذه المنزلة ؟ إنى لأعرف من هو أعجبُ من هذا

قالت : وماذا بقى من العجب فتعرفَه ؟

(١) نحن لا ننسب للملائكة إلا على خلاف القاعدة المقررة فى علم الصرف ونرى أن مخالفته هى القاعدة فى هذه النقطة

قال : أعرف رجلاً متزوجا أحبّ أشدَّ الحب وأمَضَّه حتى استهام وتدلّه ، فكان مع هذا لا يكتب رسالةً إلى حبيبته حتى يستأذنَ فيها زوجتَه كيلا يعتدىَ على شيء من حقها . وزوجته كانت أعرفَ بقلبه وبحب هـذا القلب ، وهى كانت أعلمَ أن حبَّه وسُلوانَه إنما هما طريقتان فى الأخذ والترك بين قلبه وبين المعانى ، تارةً من سبيل المرأة وجمالها ، وتارة من سبيل الطبيعة ومحاسنها

فتنهّدتْ وقالت : يا عجباً ! وفى الدنيا مثلُ هـذا الزوج الطاهر ، وفى الدنيا مثلُ هذه الزوجة الـكريمة ؟

ثم إنها وجَمَتْ هُنيهةً تجتمع فى نفسها اجتماعَ السحابة ، ثم استَدْمعتْ ، ثم أرسلتْ عينيها تبكى . فبدَرْتُ أنا أرَفّه عنهـا حتى كفكفتْ من دمعها ، وكأن (ح) قد وخزَها فى قلبها وخزة أليمة بذكره لها الزوجة ، ثم الزوجةَ الطاهرة ، ثم الطاهرةَ حتى فى وسوسة شيطان الغَيرة . ارتفع ثلاثَ مرات بالزوجة ، لترى هذه المسكينة أنها سافلة ثلاث مرات ، وكأنه بهذا لم يكلمها بل رسم لها صورتها فى عينها المُخزى وقال لهـا : انظرى . . . . .

* * *

ويا ما كان أجملَها يترقرقُ الدمعُ فى عينيها الفاتنتـين الـكحيلتين فيبُثُّ منهما حزناً يخيِّل لمن رآه ، أنه من أجلها سيُحزِنُ الوجودَ كله

ليس البكاءُ من هاتين العينين بكاء عند من يراه إذا كان من العاشقين ، بل هو فنُّ الحزن يضع مجالاً جديداً فى فن الُحسن . وأكاد أعجبُ كيف وجد الدمعُ مكاناً بين المعانى الضاحكة فى وجهها — لو لم يكن هذا الدمعُ قد جاء ليظهرَ على وجهها الفنَّ الآخر من جمال المعانى الباكية

* * *

وسألتها : ما الذى خامَرَ قلبَك من كلام الأستاذ (ح) فأبكاكِ ، وأنت كما أرى يتألّقُ النورُ على جدران المكان الذى تحُلّين به ، فيظهر المكان وكأنه يضحك لك ؟

تَشَكّكتْ لحظةً ثم قالت : أبِكَ ما تقول أم أنت تتهكم بى ؟

قلت : كيف يخطر لك هذا وأنا أحترم فيك ثلاث حقائق : الجمال ، والحب ، والألم الانسانى ؟

قالت : لا تثريبَ عليك [1] ، ولـكن صوِّر لى ببلاغتك كيف أحببتك وأنت غير مُتحبِّب الى ، وكيف جادلتُ نفسى فيك وداورتُها عنك ، وكلما عزمت انحلَّ عزمى ؟ فهذا مالا أكاد أعرف كيف وقع ، ولـكنه وقع . هذه قطرة من الماء الصافى العذب فضع عليها (الـكرسكوب) يا سيدى وقل لى ماذا ترى ؟

قلت : إنك تُخرجين من السؤال سؤالا . فما الذى خامر قلبك من كلام (ح) فبكيتِ له ؟

قالت : إذن فليست هى قطرةً من الماء بل تلك دمعةٌ من دموعى ، فضع عليها الـكرسكوب يا سيدى

قال الراوى : وكانت حزينةً كأنها لم تمسك عن البكاء إلا بوجهها وبقيت روحُها تبكى فى داخلها . فأراد الأستاذ (ح) أن يستدركَ لغلطته الأولى فقال : إنكِ الآن تسألينه حقاً من حقوقك عليه ، فكل امرأة يحبها هى عروسُ قلمه ولها على هذا القلم حقُّ النفَـقة . . . . . .

فضحكت نوعاً ظريفاً من الضحك الفاتر كأنما ابتكره ثغرها الجميلُ لساعة حزنها ، ونظرت الى . فقلت : إن كان الأمر من نفقة العروس على القلم فما أشبه هذا (بلا شيء) جحا

فضحكت أظرفَ من قبل ، وخُيِّل الىَّ أن ثغرها انطبق بعد افترار على قُبلة أفلتت منه فأمسكها من آخرها . . .

ثم قالت : ما هو (لا شيء) جحا ؟

قلت : زعموا أن جحا ذهب يحتطبُ ، وحمل فوق ما يُطيق ، فبهَظَه الِحملُ وبلغ به المشقّة ، ثم رأى فى طريقه رجلاً أبلهَ فاستعان به ، فقال الرجل : كم تعطينى إذا أنا حملتُ عنك ؟ قال : أعطيك (لاشىء) . قال : رضيت

ثم حمل الأبلهُ وانطلق معه حتى بلغا الدار ، فقال : أعطنى أجرى : قال جحا : لقد أخذته . واختلفا ، هذا يقول أعطنى ، وهذا يقول أخذتَ ؛ فلَبَّبَهُ الرجلُ [2] ومضى يرفعه إلى القاضى ، وكانت بالقاضى لُوثَةٌ وعلى وجهه رَوْأةُ الُحمق [3]

---

(١) أى لا عتب عليك (٢) أخذ بتلابيبه

(٣) اللوثة بضم اللام مس من الجنون ، وتكون أيضاً بمعنى الحمق ورواة الحمق علاماته وهى معروفة فى علم الفراسة

تخبرك عنه قبل أن يخبرك عن نفسه . فلما سمع الدعوى قال لجحا : أنت فى الحبس أو تعطيه ( اللاشىء ) . . .

قال جحا فى نفسه : لقد احتجتُ لعقلى بين هذين الأباهين ؛ ثم انه أدخل يده فى جيبه وأخرجها مُطبَقة ، وقال للرجل : تقدَّمْ وافتح يدى . فتقدم وفتحها . قال جحا : ماذا فيها ؟ قال الرجل : ( لاشىء )

فقال له جحا : خذ ( لا شيئك ) وامض فقد برئت ذمتى

قالوا : فذهب الرجل يحتجُّ ، فقال له القاضى : مهْ ؟ أنت أقررتَ أنك رأيتَ فى يده ( لا شىء ) وهو أجرك ؛ فخذه ولا تطمع فى أزيدَ من حقك . . .

* * *

وضحكت وضحكنا ، ثم قالت : أنا راضيةٌ أن أكون عروسَ القلم ، فليُجْرِ علىَّ القلمُ نفقتى ، وليصوِّرْ لى كيف أحببتُ ، وكيف آمرتُ نفسى وجادلتُها ؟

قلت : لا أتكلم عنك أنت ولا أستطيعه . بيد أننى لوصنفتُ روايةً يكون فيها هذا الموقفُ — لوضعتُ على لسان العاشقة هذا الكلامَ تحدّث به نفسها

تقول : كيف كنتُ وكيف صرت . لقد رأيتُنى أعاشر مائةَ رجـل فأخالطُـهم فى شتى أحوالهم وأصرِّنهم فى هواىَ وكلهم يجهدُ جُـهدَه فى استمالتى ، وكلهم أهلُ مودّة وبذْل ، وما منهم إلا جميلٌ مخلصٌ قد أَنِقَ وتجمَّـل وراع حسنُـه كأنما هرب إلىَّ فى ثياب عرسه ليلةَ زفافه وترك من أجلى عروساً تبكى وتصيح بوَيلها . ثم أنا مع ذلك مُغْـلقةُ القلب دونهم جميعاً أصدُقُـهم المودّةَ والصُّـحبةَ ، وأكذبُهم الحبَّ والهوى ؛ فلستُ أحبهم إلا بما أنال منهم ولستُ أتحبَّبُ اليهم إلا ما أنوِّلهم منى ، وهم بين عقلى وحيلتى رجالٌ لا عقول لهم ، وأنا بين أهوائهم وحماقاتهم امرأةٌ لا ذات لها

ثم أرى بغتةً رجلاً فرداً فلا أكاد أنظر اليه وينظر إلى حتى يضعَ فى قلبى مسئلةً تحتاج إلى الحلّ . . .

وأرتاعُ لذلك فأحاول تناسيَـه والاغضاءَ عنه ، فتلجُّ المسئلةُ فى طلب حلها وتشغلُ خاطرى وتتمدَّد فى قلبى وهو هو المسئلة . . .

فأفزع لذلك وأهتمُّ له وأجهدُ جهدى أن أكون مرة حازمةً بصيرةً كرجال المال فى حق الثروة عليهم ، ومرةً قاسيةً عنيدة كرجال الحرب فى واجبها عندهم ، ومرة خبيثة متكرة كرجال السياسة فى عملها بهم ؛ ولـكنى أرى المسئلة تلين لى وتتشكل منى وتحتمل هذه الوجوهَ كلَّـها لتبقى حيث هى فى قلبى فانه هو هو المسئلة . . .

وأغتمُّ لذلك غمّاً شديداً وأرانى سأسقط بعد سقوطى الأول وأقبحَ منه ، إذ الحياةُ عنـدنا قائمةٌ بالخداع وهـذا يُفسده الاخلاص ؛ وبالمكر وهذا يعطّله الوفاء ، وبالنسيان وهذا يبطله الحب . وإذ عواطفُنا كلها متجرِّدةٌ لغرض واحد هو كسبُ المال وجمعُه وادِّخارُه ، وفضيلتُنا عمليةٌ لا تتخيل ، حسابيّة لا تختلُّ ، فيستوى عنـدنا الرجلُ بلغ جماله القمرَ فى سمائه ، والرجـلُ بلغت دمامتُـه الذبابَ فى أقذاره ؛ والحبُّ معنا هو كم فى كم ويبقى ماذا . . . أو كما يقول أهل السياسة هو « النقطة العملية فى المسئلة » . ولـكن المسـئلة التى فى قلبى لا ترى هذا حلاً لها ، لأنه هو هو المسئلة . . .

فيزيدُ بى الـكرْبُ ، ويشتد على البـلاء وأحتالُ لقلبى ، وأدوِّر فى خنقه وأذهبُ أقنعه أن الرجل إذا كان شريفاً لم يحب المرأةَ الساقطةَ إذ يُعاب بصحبتها والاختلاف إليها ، فاذا كان ساقطاً لم تحبه هى ، فانما هو صيدُها وفريستُها وموضعُ نقمتها من هذا الجنس ، وأسرفُ على قلبى فى اللامة والتعذيل فأقول له : ويحك يا قلبى ! إن المرأة منا إذا تفتّح قلبها لحبيبٍ تفتَّح كالجرح ليَـنزف دماءَه لا غير ، فيقتنع القلب ويُجمِعُ على أن ينسى وأن يرجعَ عن طلبه الحب ؛ وأرى المسئلة قد بطلت وكان بُطلانُها أحسنَ حلّ لها ، وأنامُ وادعةً مطمئنة ، فيأتى هو فى نومى ويدخل فى قلبى ويُعيد المسئلة إلى وضعها الأول فما أستيقظ إلا رأيته هو هو المسئلة . . . .

فأتناهى فى الخوف على نفسى من هذا الحب وأراه سجنَها وعقابَها ، وقهرَها وإذلالَها ، فأقول لها : ويلكِ يا نفسى ! إنما همّكِ فى الحياة وسائلُ الفوز والغلَب ، فأنت بهذا عـدوَّة مسماةٌ فى غفلة الرجال صديقة ، وقد وُضعتِ فى موضع تعيشين فيه باهانات من الرجال يسمونها فى نذالتهم بالحب . فأنت عدوَّةُ الرجال بمعنى من الدَّهاء والخُبث ، وعدوَّةُ الزوجات بمعنى من

الحقد والضغينة ، وعدوّة البغايا أيضاً بمعنى من المغالبة والمنافسة ، وكلُّ ما يستطيع الدهاءُ أن يعمله فهو الذي عليَّ أنا أن أعمله ، فماذا أصنع وأنا أحب ؟ وكيف أنجح وأنا أحب ؟ ولكن النفس تجيبني على كل هذا بأن هذا كلّه بعيدٌ عن المسألة مادام هو هو المسألة . .

* * *

قال الراوي : وكانت كالذاهلة مما سمعت ، ثم قالت : ألك شيطانٌ في قلبي ؟ فهذا كله هو الذي حدث في سبعة أيام

قال (ح) : ولكن كيف يقع هذا الحب . وهَبْكِ صنعت تلك الرواية ووضعتَ على لسان العاشقة ذلك الكلام ، فماذا كنت تنطقها في وصف حبها ، وما اجتذبها من رجل فاز بقلبها ولم يُداوِرْها ، بعد مائة رجلٍ كلُّهم داوَرَها ولم يفز منهم أحد . أتكون في وجه هذا الرجل أنوار كتباشير الصبح تدلُّ على النهار الكامن فيه ؟

قالت هي : نعم نعم . بماذا كنت تنطقها ؟

قلت : كنت أضع في لسانها هذا الكلامَ تجيبُ به عاذلةً تعذُلها :

تقول : لا أدري كيف أحببته ، ولكنَّ هذه الشخصيةَ البارزةَ منه جذبتني اليه ، وجعلت الهواء فيما بيني وبينه مُفعَماً بالمغناطيس مصدرُه هو ، وممناه هو ، ولا شيء فيه إلا هو

عرّضتْه لي شخصيتُه ظاهراً لأن جواب شخصيته فيَّ ، وأصبح في عيني كبيراً لأن جوابَ شخصيتي فيه ، ومن ذلك صارت أفكاري نفسها تزيده كلَّ يوم ظهوراً وتزيدني كل يوم بَصراً ، وأعطاه حقّه في الكمال عندي حقّه في الحبِ مني ؛ وبتلك الشخصية التي جوابها في نفسي أصبح ضرورةً من ضرورات نفسي

* * *

قال الراوي :

ولما رأيتها في جوّي نسيمه وعاصفته ، أردتها على قصّتها وشأنها ، فماذا قلت لها وماذا قالت ؟

(في العدد القادم بقيتها)

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

---

إلى الأديبة و . س بدمشق : أما بعد الشكر للأديبة الفاضلة فأنت في الشكوى والموضوع يتعذر . . . . وسيأتي إليك كتابي الرافعي

# افتتاح إفريقيـــة

## وكيف غزاها الاستعمار الأوربي

### بقلم مؤرخ كبير

---

ليست المشكلة الايطالية الحبشية التي تكدر اليوم سلام العالم سوى نفثة جديدة من نفثات الاستعمار الغربي ، وطموح أمة أوربية قوية إلى غزو أمة إفريقية ضعيفة تزخر أرضها بالثروات الطبيعية الدفينة التي مافتئت تحفز الاستعمار إلى الغزو والتغلب ، وإلى اجتياح الأمم الضعيفة الآمنة ؛ فهي ليست بذلك مشكلة دولية بالمعنى المعروف ، وإنما هي محاولة أوربية جديدة لاجتياح آخر أرض في إفريقية استطاعت أن تنجو حتى اليوم من عدوان الاستعمار

كانت القارة الافريقية منذ قرن فقط ، منطقة بكراً ، لايكاد الغرب يعرف شيئاً إلا عن أممها الشمالية التي تحتل الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط ، والتي كانت تتمتع مدى الأحقاب بحضارات زاهرة ؛ وكانت هذه الأمم المتمدنة الزاهرة — مصر وبلاد المغرب — تكاد تحجب ماوراءها من أمم القارة السمراء ، وتكون دون اجتياحها سداً منيعاً يحميها من مطامع الاستعمار الغربي الذي استطاع منذ القرن السادس عشر أن يجتاح الأمريكتين ، وأن ينفذ إلى الشرق الأقصى ، واستطاع منذ القرن الثامن عشر أن يستقر في الهند . ومنذ أواخر هذا القرن أيضاً توالت بعوث الاستعمار إلى إفريقية ، فنفذت اليها من الشرق والغرب والشمال ، وأثارت اكتشافات الرُّحّل مثل منجو بارك ودنهام وكلابرتون ورنيه كاييه وستانلي ولفنجستون وغيرهم في الأمم الأوربية مطامع وآمالاً جديدة ، وبعثت النهضة الصناعية إليها رغبة قوية في استعمار تلك المناطق الجديدة واستغلال ثرواتها الدفينة ، واستعباد شعوبها المتأخرة وتسخيرها في سبيل الغايات الاستعمارية

وكانت أمم إفريقيـة الشمالية ، وهي مفتاح القارة ، بالطبع محط المشروعات والمحاولات الأولى ؛ وكانت اسبانيا أسبق الأمم

الأوربية إلى التطلع إلى تلك الأمم المغربية التي تواجهها في الضفة الأخرى من البحر والتي خاضت معها من قبل كثيراً من المعارك، والتي استطاعت أيام قوتها وازدهارها - أيام المرابطين والموحدين - أن تغزو اسبانيا وأن تحتل قسمها الجنوبي أعني اسبانيا المسلمة؛ ومنذ أيام الأمبراطور شارلكان وولده فيليب الثاني (القرن السادس عشر) بذلت اسبانيا - وهي يومئذ في إبان قوتها وعظمتها - عدة محاولات لافتتاح الجزائر وثغور المغرب، ولكنها لم تستطع أن تظفر في تلك الوهاد الوعرة بفتوح مستقرة؛ واستطاعت تلك الأمم المغربية أن تحافظ على استقلالها في ظل طائفة من الحكام القاصرين الذين يرجعون إلى أصل تركي حتى فاتحة القرن التاسع عشر. وكانت اسبانيا قد انحدرت في ذلك الحين إلى عداد الدول الثانوية، وأخذت دولة أوربية أخرى هي فرنسا تتطلع إلى افتتاح تلك الأمم واستعمارها؛ وكانت حمى افتتاح إفريقية قد أخذت تسرى إلى الدول الأوربية، على أثر الاكتشافات الجغرافية العديدة التي كشفت عن غنى تلك المجاهل بالثروات الطبيعية المدهشة؛ وخشيت فرنسا أن تسبقها أمة أوربية أخرى إلى غزو أمم المغرب التي تواجهها في الضفة الأخرى من البحر ولا تبعد عن ثغورها الجنوبية سوى يومين؛ ولم يكن يعوز الاستعمار أو تعجزه حجج التدخل والعدوان. ففي سنة ١٨٣٠، في عصر الملك شارل العاشر، جهزت فرنسا أسطولاً ضخما، وحملة قوية إلى ثغر الجزائر؛ واستولى الفرنسيون على الثغر الحصين بعد قتال رائع، وانسحب الحاكم التركي (الداي) بأمواله وأسرته؛ واتخذ الفرنسيون من الجزائر قاعدة لغزو المغرب الأوسط كله؛ وكانت بتوسطها ومناعتها أصلح القواعد؛ ولكن فرنسا لقيت خصما صلباً عنيداً في عبد القادر زعيم الجزائر وبطلها الأشهر؛ وقد استطاع هذا الوطني الكبير والجندي الباسل أن ينظم الدفاع عن وطنه زهاء خمسة عشر عاماً هزم خلالها عدة حملات فرنسية قوية، وكبد فرنسا خسائر فادحة في الرجال والمال؛ ولكن السياسة الاستعمارية لم ترتد أمام هذا النضال الوطني الرائع، ولم تحجم في سبيل غايتها عن أية تضحية؛ فما زالت فرنسا تبعث الحملات المختلفة، وتستولى تباعاً على قواعد الجزائر، وتخوض مع عبد القادر معارك مضطربة مستمرة، حتى أتمت فتح الجزائر؛ وأسر عبد القادر بعد خطوب وأحداث جمة (سنة ١٨٤٧)، وارتد الزعيم الباسل بعد أعوام من الأسر بأسرته إلى دمشق ليقضي بقية أيامه فيها

وهكذا كانت الجزائر أول قطر أفريقي سقط في يد الاستعمار الأوربي، وكان سقوطها فاتحة تلك الحركة الاستعمارية الهائلة التي تعرف « بافتتاح إفريقية » والتي اشتركت فيها معظم الدول الأوربية الكبرى، طوراً متحدة وطوراً منفردة، واستمرت طوال القرن التاسع عشر، وانتهت بتقسيم إفريقية، وسقوط أقطارها تباعاً في يد الدول الاستعمارية الكبرى

ولما استقرت فرنسا في الجزائر أخذت تتطلع إلى تونس ومراكش؛ وكانت تونس بما يسودها من الضعف والتفكك فريسة هينة، فما زال الفرنسيون بها حتى جردوا عليها حملة غازية في سنة ١٨٨١ ثم جردوا عليها أسطولاً رسا في بنزرت، وزحفوا على تونس في مايو سنة ١٨٨٥ وأرغموا « الباي » صاحب تونس على أن يعترف بالحماية الفرنسية على القطر التونسي. أما مراكش فقد استطاعت لمنعتها ووعورتها أن تقف في وجه الاستعمار مدى حين، وعاونتها السياسة الألمانية على مقاومة فرنسا وإحباط محاولاتها حتى أوائل القرن الحالي

وفي الوقت الذي سقطت فيه تونس في يد الفرنسيين كانت انكلترا قد نظمت مشروعها لاحتلال مصر، وألفت فرصتها في اختلال الأحوال المالية، وفي قيام الثورة العرابية؛ فبعثت حملتها المعروفة إلى مصر في صيف سنة ١٨٨٢، واحتلت عاصمتها في سبتمبر، في ظروف ما زالت معروفة ماثلة في جميع الأذهان؛ وما زال الاحتلال الانكليزي قائماً في مصر، وما زالت المسألة المصرية تنتظر حلا شريفاً عادلا يحقق أماني مصر في استرداد حريتها واستقلالها

* * *

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر كانت البعثات الاستكشافية العديدة قد ألقت برحلاتها ومباحثها كثيراً من الضياء على افريقية ومجاهلها ووهادها الغنية، وثرواتها الطبيعية المتنوعة، ولم تمض أعوام أخرى حتى اكتشفت منابع أنهارها العظيمة مثل النيل والنيجر والكونغو، وحققت مجاريها

وأحواضها ، وأخذت روعة الثروات العظيمة التي اختصت بها القارة السمراء تحفز الاستعمار الأوربي وتذكي أطماعه ، واشتدت المنافسة بين الدول الكبرى لاقتسام هذه الأقطار الغنية واحتلالها . عندئذ اتفقت الدول على عقد مؤتمر ينظم اقتسام افريقية ، ويحدد مناطق النفوذ والنشاط لكل دولة ، وكان بسمارك المستشار الألماني هو صاحب الفكرة ، فعقد المؤتمر في برلين في أواخر سنة ١٨٨٤ ، واتفق على أن تكفل الحرية التجارية المطلقة لجميع الدول في حوض الكونغو ، وأن تكفل حرية الملاحة في نهري النيجر والكونغو ، وألا يعتبر الاحتلال النظري قائماً في منطقة من المناطق حتى يؤيد بالاحتلال الفعلي ، واعترف المؤتمر أيضاً بقيام دولة مستقلة في الكونغو وأنها ملك شخصي لملك البلجيك وهي التي أضحت في يومنا مستعمرة عظيمة تملكها دولة أوربية صغيرة هي البلجيك

على أن قرارات مؤتمر برلين لم يكن لها أثر فعلي ظاهر فيما تلا من تقسيم افريقية . وكانت فرنسا قد وضعت يدها على الجزائر وتونس والسنغال ، ووضعت انكلترا يدها على مصر ، ومنطقة الرأس ( الكاب ) ، وبدأت ألمانيا احتلالها في نفس الوقت للكمرون وتوجولاند وشرق افريقية ؛ ولم يكن ثمة بد من أن تتفاهم هذه الدول الاستعمارية الكبرى فيما بينها بمعاهدات واتفاقات خاصة على تحديد المناطق التي تطمح كل إلى امتلاكها ، وكانت كل دولة قد شادت عما احتلته أسس امبراطوريتها الاستعمارية في افريقية . وكانت فرنسا أنشطها في بناء هذا الصرح الاستعماري ، فلم تأت أواخر القرن التاسع عشر حتى كانت قد احتلت معظم افريقية الغربية ، واستولت على السنغال وأعالي النيجر ، وساحل العاج ، وداهومي ، ونفذت في قلب افريقية إلى السودان الأوسط حتى بحيرة تشاد ، ووطدت أقدامها في الشمال في تونس والجزائر ، وافتتحت جزيرة مدغشقر في سنة ١٨٩٥

أما انكلترا فانها وطدت أقدامها في وادي النيل ، في مصر والسودان ، وشرق افريقية البريطاني ، واحتلت زنجبار ، وأخذت في بناء امبراطوريتها الاستعمارية العظيمة في أواسط افريقية وجنوبها . وكانت منذ أوائل القرن التاسع عشر قد احتلت منطقة الرأس ( الكاب ) كما قدمنا ، وكان البوير ( وهم سلالة المستعمرين الهولنديين الأوائل ) قد استقروا في منطقة «الأورانج» وفي « ناتال » ، فاستولى الانكليز على ناتال ، وهاجر البوير منها ، وأسسوا لهم مستعمرة جديدة هي «الترنسفال» واعترفت انكلترا باستقلالها سنة ١٨٥٢ ، ولكن انكلترا ما فتئت تبسط سلطانها نحو الشمال تباعا ، فاستولت على أرض الكفر وباسوتولاند ؛ وفي أواخر القرن التاسع عشر أنشأ سسل رودس شركة استعمارية على مثال الشركة التي أسست من قبل في الهند ، وعضدت الحكومة الانكليزية مشروعه في فتح الأراضي الواقعة حول حوض الزمبيزي وأمدته بالمال والجند ، وهكذا افتتحت روديسيا ، وأصبحت انكلترا تسيطر على أواسط افريقية الجنوبية من منابع الكونغو حتى الكاب ، ولم يبق خارجا عن سلطانها سوى الترنسفال ومستعمرة الأورانج حيث استقر البوير . وكانت انكلترا تطمح دائما إلى ضم هاتين المستعمرتين إليها لتوحد امبراطوريتها في افريقية الجنوبية ، وكان البوير من جهة أخرى بزعامة رئيسهم الشهير « كروجر » يناوئون كثيراً من مشاريعها الاستعمارية ، ويقاومون تدخلها بشدة ؛ وأخيراً لم تر انكلترا بداً من اعلان الحرب لتحقيق غايتها ، فاضطرمت الحرب بينها وبين البوير ( أكتوبر سنة ١٨٩٩ ) وأبدى البوير بسالة عظيمة ، واستطال دفاعهم زهاء ثلاثة أعوام ؛ وأخيراً اضطروا إلى الاعتراف بسيادة انكلترا ولكنهم احتفظوا باستقلالهم الداخلي ، ونالوا من انكلترا تعويضاً ضخماً عما أصابهم من التخريب والخسائر ، وكبدت هذه الحرب الشهيرة انكلترا خسائر فادحة في المال والرجال ، ولكنها استطاعت أخيراً أن تحقق مشروعها في توحيد امبراطوريتها في جنوب أفريقية

* * *

وفي أواخر القرن التاسع عشر اشتدت المنافسة بين الدول الاستعمارية ولاسيما بين ألمانيا وانكلترا من جهة ، وبينها وبين فرنسا من جهة أخرى . وانتهت انكلترا وألمانيا أخيراً إلى التفاهم وعقدتا في سنة ١٨٩٠ معاهدة لتخطيط الحدود بين أملاكهما في إفريقية . وعقدت بين انكلترا وفرنسا في سنة ١٨٩٨ معاهدة لتحديد أملاكهما في حوض النيجر وغرب إفريقية ، ثم عقدت

بينهما معاهدة أخرى فى سـنة ١٨٩٩ على أثر حادثة فاشودة المشهورة وفيها تنازلت فرنسا عن دعاويها فى أعالى النيل ؛ وأخيراً عقد « الاتفاق الودى » بين الدولتين فى سنة ١٩٠٤ ، وفيه تعهدت فرنسا بأن تطلق يد انكلترا فى مصر وألا تناوئ سياستها فيها ؛ وتعهدت انكلترا من جانبها أن تطلق يد فرنسا فى مراكش وألا تناوئ سياستها فيها

وثارت بين ألمانيا وفرنسا من أجل مراكش خصومة مضطرمة كادت أن تنفجر غير مرة ؛ وكانت فرنسا تحرص على أن تضم مراكش إلى امبراطوريتها الافريقية ، وتحرص ألمانيا من جانبها على أن تضع فى سبيل فرنسا كل عقبة ممكنة ؛ وفى سنة ١٩٠٥ ، زار الامبراطور ولهلم الثانى ثغر طنجة وألقى خطاباً رناناً حمل فيه على السياسة الفرنسية ؛ واضطرت فرنسا أن تقبل بحث المسألة المراكشية فى مؤتمر دولى ؛ وعقد المؤتمر فى الجزيرة (باسبانيا) سنة ١٩٠٦ من الدول الكبرى ؛ وأصدر قراراً باعلان استقلال السلطان ، ووجوب المحافظة على وحدة الأراضى المراكشية ، مع الاعتراف بحقوق اسبانيا وفرنسا ومصالحهما الخاصة فى هذه المنطقة . ولم تغنم ألمانيا شيئاً . وفى سنة ١٩١١ جردت فرنسا حملة على فاس ، وانتهزت ألمانيا هذه الفرصة فأرسلت سفينة حربية إلى أغادير ، ووقعت بين الدولتين مشادة حادة كادت تنتهى باضطرام الحرب بينهما ؛ ولكن الخلاف انتهى بعقد معاهدة اعترفت فيها ألمانيا بحقوق فرنسا فى مراكش مقابل مزايا استعمارية كبيرة فى إفريقية الوسطى . وعلى أثر ذلك انتهزت فرنسا الفرصة وعملت على ارغام مراكش على قبول حمايتها بمعاهدة عقدت مع السلطان فى سنة ١٩١٢

أما إيطاليا ، وهى رابعة الدول الاستعمارية الكبرى التى اشتركت فى اقتسام أفريقية ، فكان نصيبها طرابلس فى الشمال ، وارترية وشطراً من بلاد السومال فى الشرق . وسنعرض فى فصل قادم إلى تفصيل هذه الغزوات الاستعمارية ، وسنعرض بوجه أخص إلى موقف الحبشة من هذه الحركة الأوربية الاستعمارية الشاملة وكيف نجت من عواقبها ، واستطاعت أن تحتفظ باستقلالها إلى يومنا ؟

للبحث بقية (...)

# ٣ ـ الشـــعر *

## فى صدر الاسلام وعهد بنى أمية

بقلم احمد حسن الزيات

---

### ٢ — خصائص الشعر فى العراق

أما الفرزدق فهو كالأخطل فى الذؤابة من قومه ، إلا أنه كان صريح العداوة فلا يوارى ، فاحش الدعابة فلا يحتشم ، شديد الدعارة فلا يتعفف ، حاد البادرة فلا يتلطف ؛ فهو فى هجائه يذكر العورات ويعلن المخزيات بألفاظها العارية وأسمائها الصريحة حتى ليستحى الشاب أن ينشدها ، بَلْهَ الفتاة الخفِرة . وما أظن البداوة وضيق الخلق وسلاطة اللسان وفجور النفس هى كل الأسباب التى أوجدت هذا الهجاء السوقى الوقح ، فان الحطيئة ومن سبقه على اتصافهم بهذه الأوصاف لم يُسفوا هذا الاسفاف ، فلابد أن يكون لحياة العراق فى ذلك العهد أثر قوى فى ذلك : فالخلق العربى القوى قد وهت أواصره باتصال البدو بالحضر واختلاط العرب بالعجم ، والوازع الدينى قد ضعف بتغلب الأحزاب وضعف العصبية ، والسلطان السياسى يغمض جفنيه ويضحك ملء شدقيه من هذه المهازل التى يمثلها الشعراء والقبائل بالبصرة . أقول القبائل لأن القبيلة كانت من وراء شاعرها تحتال لانتصاره بالمال والقتال والدعاية ، وربما أتى كل رجل منهم بالبيتين والثلاثة فيرفد بها الشاعر كما فعلت تيم فى مهاجاة شاعرها عمر بن لجأ لجرير . وكان أفحش الهجاء هجاء الفرزدق فى جرير ، فهو يرى قومه بضعة النسب ، وضعف الحيلة ، واتخاذ الغنم ، ورعى الابل ، وإتيان الأتن ، ويفتنّ فى هذه المعانى افتناناً عجيباً : يرددها فى كل قصيدة على صور مختلفة وأساليب شتى ، ولا يتحرج أحياناً من افتعال الحوادث المضحكة إمعاناً فى السخر من المهجو والنيل منه

وهذا غاية ما وصل إليه المتهاجون وأهل التنادر فى عصور

---

* من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربى الذى صدر حديثاً

الترف والخلاعة . وأدهى من ذلك أن يقذف خصمه بنوع من السباب الدنىء الذى لا يعتقده ولا يصدقه الناس ، إنما يعمد إليه مبالغة فى التحقير والتشهير على نحو مايعمل الرعاع فى الطبقات الوضيعة ، وذلك مالم نعهده فى الهجاء من قبل ، إذ كان الشاعر يرى جهة المحاسن فى المرء فيمدح ، أو جهة المساوىء فيه فيذم ، وهو فى كلتا الحالين صادق

وقد يتدلى الفرزدق فى الهجاء إلى الدرك الذى لا تسيغه رجولة ، فينقض رثاء جرير[1] لامرأته بهجائها القذع ، دون أن يرعى للميت حرمة ولا للمرأة كرامة ، كقوله :

كانت منافقة الحياة وموتها ... خزى علانية عليك وعار
فلئن بكيت على الأتان لقد بكى ... جزعاً غداة فراقها الأعيار
تبكى على امرأة وعندك مثلها ... قعساءُ ليس لها عليك خمار
وليكفينك فقدَ زوجتك التى ... هلكت موقمة الظهور قصار
إن الزيارة فى الحياة ولا أرى ... ميتاً إذا دخل القبور يُزار

ورأىُ الفرزدق فى المرأة يدل على جفاء طبع وسوء أنفة ، وربما دل أيضاً على منزلتها فى المجتمع العربى فى ذلك العهد ؛ ولا نستنبط ذلك من قوله فى زوجة جرير ، فقد يكون للخصومة بعض الأثر فى سوئه ، وإنما نستنبطه من قوله فى زوجته هو حين ماتت :

يقولون زُر حدراء والترب دونها ... وكيف بشىء وصله قد تقطعا
ولست وإن عزت علىّ بزائر ... تراباً على مرموسه قد تضعضعا
وأهون مفقود إذا الموت ناله ... على المرء فى أصحابه من تقنعا
يقول ابن خنزير بكيتَ ولم تكن ... على امرأة عينى اخال لتدمعا
وأهون رزء لامرئ غير عاجز ... رزية مرتج الروادف أفرعا

على أن طبيعة المهاجاة مع جرير ، وشهوة الغلبة عند العامة ، ونفاد المعانى السامية فى الهجاء على طول المدة ، وبلادة الحس وهوان النفس باعتياد الذم ، قد دعت الفرزدق كما دعت جريراً إلى التدرج فى الاقذاع والبذاء ، حتى خرج شعرهما فى النقائض على قوته وجودته عن الحد المألوف بين السفلة . ولكن الفرزدق مع تبذله كان يصيخ أحياناً إلى وازع الدين لتشيعه ، فيتوب عن قرض الشعر ، ويكف عن هجاء الناس ، ويقيد نفسه ليحفظ القرآن ويقول :

ألم ترنى عاهدت ربى وأننى ... لَبينَ رتاج قائماً ومقام
على قسم لا أشتم الدهر مسلما ... ولا خارجاً من فىّ سوء كلام

أو يجيب إلى داعى الشرف لحسبه فيصدر فى الهجاء عن طبع أبىّ ونفس كريمة ، فتسمو معانيه وتعف ألفاظه ، كقوله فى معاوية وقد حبس عنده مالاً لأحد أعمامه بعد وفاته :

أبوك وعمى يا معاوىَ أورثا ... تراثاً فيحتاز التراثَ أقاربه
فما بال ميراث الحُتات أخذته ... وميراث حرب جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الأمر فى جاهلية ... علمتَ من المرء القليل حلائبه

إلى أن يقول :

وما ولدتْ بعد النبى وأهله ... كمثلى حصانٌ فى الرجال يقاربه
وكم من أب لى يا معاوى لم يزل ... أغر يبارى الريح ما ازوّر جانبه
تمته فروع المالكين ولم يكن ... أبوك الذى من عبد شمس يخاطبه

* * *

أما الطامة الكبرى فهى جرير ، لأنه كان مرسل العنان مطلق اللسان لا يعوقه قيد ولا تكبحه شكيمة ؛ فلا هو صاحب سياسة كالأخطل ، ولا صاحب نِحْلة كالفرزدق ، ولا وارث مجادة كالاثنين ، وإنما كان سوقياً تُرْعِيَّةً رزقه الله حدة الذهن ، ورقة الأسلوب ، وخبث اللسان ، وزاده المراسُ صلابة عود ، وغزارة فكر ، ومتانة شعر ، وسهولة قافية ، فبلغ بالهجاء الفردى والقبلى غايته فى الاقذاع والاقناع والقوة ؛ وربما كان أول من أكره الشعر على قبول الأساليب العامية المبتذلة فى الهجاء كذكر العورات ، وهتك المحارم ، فاضطر خصومه إلى أن يكلموه باصطلاحه ، ويقاتلوه بسلاحه ، وأصبح بعده الهجاء فى العراق لا يفعل فى النفوس إلا مشوباً بهذا القذر ؛ وما مهاجاة بشار وحماد إلا صورة من هجاء جرير والفرزدق

كان جرير لعاميته وبيئته ، وللأسباب التى ذكرناها من قبل فى معرض الكلام عن الفرزدق ، يصطنع فى الهجاء أساليب الدهماء ، فيعير الأخطل بالقلف والخنزير والسكر ، ويقذف البعيث فى أمه وهى أمة سجستانية ، ويهاجم الفرزدق فى جدته فيتهمها

(1) وهى القصيدة التى مطلعها :
لولا الحياء لهاجنى استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

بجبير القين ، وفى أخته جعثن فيرميها بابتذال بنى منقر إياها على أثر حادثته مع ظمياء بنت طلبة حفيدة قيس بن عاصم ، ويشهر بقومه فى إخفار عمرو بن جرموز لذمتهم فى قتل الزبير ، ثم يتسقط عيوبه الصغيرة وهفواته الدنيا ، فيجسمها بالمبالغة والتزيد كضربته النابية للرومى ، وزيجته القالية من نوار

وكان الفرزدق يذهب فى هجائه مذهب الفخر بآبائه ، فيمدد أيامهم الظافرة ، ويجدد مفاخرهم الثائرة ، فلا يستطيع جرير مجاراته فى هذا المضمار ، فيعمد إلى نقض الفخر الصلف بالسخرية اللاذعة والفحش الموجع ؛ وإذا أخذ جرير هذا المأخذ لا يقام له . اقرأ على سبيل المثال قصيدة الفرزدق التى مطلعها :

إن الذى سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

تجده يقول بعد هذا البيت :

بيتاً زرارة محتب بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم ... أبداً إذا عد الفعال الأفضل

فيجيبه جرير فى نقيضته لها :

أخزى الذى سمك السماء مجاشعاً ... وبنى بناءك فى الحضيض الأسفل
بيتاً يحمم قينكم بفنائه ... دنساً مقاعده خبيث المدخل
قتل الزبير وأنت عاقد حبوة ... تباً لحبوتك التى لم تحلل
وافاك غدرك بالزبير على منى ... ومجر جعثنكم بذات الحرمل
بات الفرزدق يستجير لنفسه ... وعجان جعثن كالطريق المعمل

ويقول الفرزدق :

حلل الملوك لباسنا فى أهلنا ... والسابغات إلى الوغى نتسربل

فيجيبه جرير :

لا تذكروا حلل الملوك فإنكم ... بعد الزبير كحائض لم تغسل

ويقول الفرزدق :

أحلامنا تزن الجبال رزانة ... وتخالنا جناً إذا ما نجهل
فارفع بكفك إن أردت بناءنا
ثهلان ذو الهضبات هل يتحلحل ؟
خالى الذى غصب الملوك نفوسهم ... وإليه كان حباء جفنة ينقل
إنا لنضرب رأس كل قبيلة ... وأبوك خلف أتانه يتقمل

فيجيبه جرير :

كان الفرزدق إذ يعوذ بخاله ... مثل الذليل يعوذ تحت القرمل
وافخر بضبة إن أمك منهم ... ليس ابن ضبة بالمعم المخول
أبلغ بنى وقبان إن حلومهم ... خفت فلا يزنون حبة خردل
أزرى بحلمهم الفياش فأنتم ... مثل الفراش غشين نار المصطلى

ويقول الفرزدق :

وهب القصائد لى النوابغ إذ مضوا
وأبو يزيد وذو القروح وجرول

ثم يمضي يعدد الشعراء الفحول ويقول :

دفعوا إلى كتابهن وصية ... فورثتهن كأنهن الجندل

فيجيبه جرير :

أعددت للشعراء سماً ناقعاً
فسقيت آخرهم بكأس الأول
لما وضعت على الفرزدق ميسمى
وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل
حسب الفرزدق أن يسب مجاشعاً
ويعد شعر مرقش ومهلهل

فأنت تلاحظ أن جريراً يرغب فى الطريق السهل ، ويطفئ حرارة الجد ببرودة الهزل ، ويقابل الكمى الهاجم فى سلاحه ولأمته ، وهو فى ثوب المهرج وزيه وضحكته

ولجرير قدرة بارعة على تتبع الخصم فى حياته الخاصة والعامة ، فيتسقط أخباره ويتلقط حوادثه ، ثم يعلنها فى شعره تشهيراً به وفضيحة له :

يتزوج الفرزدق من حدراء بنت زيق بن بسطام على حكم أبيها ، فيقول جرير :

يا زيق قد كنت من شيبان فى حسب
يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق
أنكحت ويلك قيناً فى استه حمم
يا زيق ويحك هل بارت بك السوق
يا رب قائلة بعد البناء بها :
لا الصهر راض ولا ابن القين معشوق

فيقبل أهلها عليه ويقولون له : ماتت ، كراهة أن يهتك أعراضهم جرير ، فيأبى جرير إلا أن يعلن الحقيقة فى قوله :

وأقسم ما ماتت ولكنما التوى ... بحدراء قوم لم يروك لها أهلا

ويعبث الفرزدق فى المدينـــة عبث الشباب ، ويعترف بذلك فى قوله :

هما دلتانى من ثمانين قامةً كما انقض باز أقتم الريش كاسرُهْ

فيقول له جرير :

تدليت تزنى من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلا والمكارم

ويضرب الرومىَّ فى حضرة سليمان بن عبد الملك فينبو عنه سيفه فيقول له جرير :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ومثل هذه الأخبار لطرافتها وجدّتها تعلق بالنفوس وتسير على الألسنة ، كصحف الأحزاب تجعل من حياة خصومها اليومية مادة لجدالها ، وموضوعاً لنقدها ونضالها ! وجرير لطول ماتمرس بالهجاء وغاص فى الخصومة ، لاذع السخرية ، فاحش الدعابة ، مر التهكم ، ومن ذلك كان يتضور الفرزدق ويمتقع لونه كلما وردت المربد قصيدة لجرير . وأى تهكم أمضّ وآلم من مثل قوله :

يا تيمُ إن بيوتكم تيمية قُمس العماد قصيرة الأطناب

قوم إذا حضر الملوكَ وفودُهم نُتفت شواربهم على الأبواب

وقوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يامربع !

وقوله :

والتغلبى إذا تنحنح للقِرى حك استه وتمثل الأمثالا

وقوله :

تخلَّ الفخر يا ابن أبى خليد وأدّ خراج رأسك كل عام

لقد علقت عينك رأس ثور وما علقت عينك باللجام

( يتبع ) الزيات



# السنيون والشيعة

## وموقفهما اليوم

### للأستاذ محمد رضا المظفر

---

أُتيح لى أن أتناول « تاريخ القرآن » للأستاذ الزنجانى أبى عبد الله ، فاقرأ فى مقدمته كلمة الأستاذ « أحمد أمين » القيّمة فى بابها . أقرأها ، فيطربنى ما فيها من نغمة متواضعة على وتر من احساس جديد ، نعرفه فى الأستاذ اليوم

ولا أكتم الأستاذ أنى رجعت إلى ذكريات اختزنت عنه من قراءتى لفجر الاسلام وضحاه . ما آلم هذه الذكرى ! فقد خلقت للأستاذ عندى شخصيتين ، تباعدتا على قرب العهد بينهما ، وكادت تدفعنى يومئذ إلى مقالة أضعها بين يديه فى « الرسالة » أو فى غيرها : لا تخرج عن عتاب برىء على كتابيه ، وعن تشجيع على كلمته الأخيرة وتأييد لها ، وهى التى أطمعتنى فيه ، لننشد صراط الاصلاح المستقيم ، ولكنى تلكأت لا لشىء ، وما أدرى لماذا كان ؟ ولعله لصلاح !

ومنذ أيام كان عـدد الرسالة الـ ( ١١٠ ) فى يدى ، فقرأت كلمة الأستاذ محمد بك كرد على ، عن تاريخ القرآن ومقدمته ، فطابت لى النبرة وجريت عليها حتى تناولت القلم ، وهأنذا أحدثك وأنا شيعى أجرى مع سنيين فى ميدان الاصلاح لحظيرة الوحدة التى أقامها لنا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

شهد الله والنبى الأكرم أن من أثقل الأشياء على قلمى أن يقرن بين كلمتى سنى وشيعى : يتقارنان تقارن افتراق ، ويتصلان اتصال تنافر ، كقطبى المغناطيس المماثلين ، وقد خلقت لها السياسة الغاشمة هذا التنافر الشائن يوم خُلقت ، وآن لنا أن نخجل أمام الله ورسوله من استمرارنا على هذا الشنآن بين أعداء تستمرّ على مطاردتنا وتستغلّ افتراقنا . وما أجدرنا اليوم أن نضرب على هاتين الكلمتين فى قاموس اللغة ، فنستريح ونُريح ، ونعود أمة اسلامية واحدة كما أرادها الرسول ، أو كما أرادها الله آمنة مطمئنة خير أمة أخرجت للناس !

يرجو الأستاذ ( أحمد أمين ) فى مقدمته — بعد أن ألمّ إلمامة

بعض أسباب الخلاف — ( أن يفكر عقلاء الفريقين فى سبيل الوئام ، ويعملوا على احياء عوامل الألفة وإماتة الخصام ، ويتركوا لعلماء البحث حراً فى التاريخ ، ويتلقوا النتائج بصدر رحب ) ويتابعه الأستاذ ( محمد بك كرد على ) فيقول : ( ورأى صديق هو رأى فريق كبير من علماء المسلمين اليوم ) ثم ينقل لنا خطاب العلامة شيخ الجامع الأزهر ، ويقترح أخيراً أن يكتبوا كتاباً فى منشأ هذا الخلاف بين السنة والشيعة والطرق العملية لازالته

وأنا أقترح هذا الاقتراح نفسه على علماء النجف الأشرف عاصمة الشيعة الدينية والعلمية ، ونقترح جميعاً على الفريقين أن يتفاهموا جميعاً قبل كل شيء ، ولكن كيف نحقق هذا الاقتراح ونفرضه عليهم فرضاً ؟ يجب أن نعمل له ! فهل نستطيعه ولا نجعله مثار نزاع جديد ؟

وأؤكد لك أن نشدان علماء الشيعة هو هـذه الوحدة الضاعة ، يسمون لها ماسنحت الفرصة ، وما عرض لها الزمن ، احتفاظاً بجامعة الاسلام العليا ، وتوحيداً لكلمة المسلمين

فى إبان تأسيس الحكم الوطنى فى العراق ( والشيعة أكثرية العراق ) نادى علماء النجف بالوحدة عالياً ، وغالوا فى ذلك إلى أبعد حد ، وبذلك استطاعت الأمة العراقية أن تجعل من نفسها شعباً حياً وحكومة صادقة

ولم يكن أبناء الأقطار العربية الأخرى — وخاصة فى مصر — يحسون بواجبهم إزاء العراق الفتى المتطلع إلى سحق المهد التركى البالى ، فكانت لهجات متتابعة ، ووخزات نافذة تلقتها صدور الشيعة من مصر وسوريا ، تلح عليها الحاحا ، وتكدر عليها صفو الاتفاق أيما تكدير ، وكان من بينها فجر الاسلام وضحاه ( وأرجو ألا تخدش هذه الكلمة عواطف الأستاذ مؤلفهما ، فانها الصراحة تريد أن تتبعها ) تعززها الأقلام المستأجرة فى العراق ، وبعبارة أصرح أقلام الاستعمار ، بينما العراق فى ضرورة ملحة إلى الاتفاق بين سنيه وشيعيه ، ليرتقى سلم الاستقلال المنشود

* * *

إنما هى واحدة تجب رعايتها اليوم على كل باحث عن الشيعة من اخوانهم السنيين ، غفل عنها فى فجر الاسلام وغيره . هى واحدة تحل كثيراً من الشغب اليوم

نحن نفهم من كلمة الشيعة إذا قلناها : الأمامية الاثنى عشرية خاصة ، لأنهم الأكثرية من بين فرق شتى ، وذوو المؤلفات والمعارف التى يقال عنها مؤلفات الشيعة ومعلوفها ، ولأنهم اليوم شيعة العراق وسوريا وإيران والامارات العربية على الخليج الفارسى والهند وأفغانستان ، وما إلى ذلك ، وهناك الزيدية فى اليمن والبهرة فى الهند . أما الفرق الأخرى التى يعددها مثل الشهرستانى فى الملل والنحل وغيره ، فقد أصبحت فى خبر كان ولا يعرف لها أى أثر فى هـذه البلاد المترامية الأطراف ، إلا بعض فرق لا يسمع لها حسيس فى المجتمع الشيعى ولا غيره كالنالية

فاذا طوح القلم بالكاتب اليوم عن الشيعة ، وقرأ ما كتبه السلف عنهم ، خلط الحابل بالنابل ، وألصق عقائد تلك الفرق البائدة بعامة الشيعة ، وعلى الأصح بالشيعة بالمعنى المفهوم الآن ، فكانوا فى نظره مرجئة ، وغالية ، ومجسمة ، ومجبرة ، وسبئية ، وزردكشية ، وما إلى ذلك

وهـذا ما ينعى على الباحث المتتبع ، وهذا ما يثير غضب أولئك الشيعة الأحياء ، من غير ما حاجة تدعو الكاتب ولا ضرورة ، وما أجدر الكتاب أن يتنبهوا اليوم لهذه الناحية ، فلا يثيروا كوامن أحقاد شائنة بذرتها السياسة لأغراضها فى زمن بعيد لسنا أبناءه ، فلا يصطدم بآراء أفراد — لا فرق — لا نعرف عنهم كثيراً ، ولا يصح أن يدخلوا تحت هذا الاسم . وعند ذلك قد نوفق إلى التفاهم فالتقارب حيث تفرضه الاخوة الاسلامية ، ويكون بحثنا نزيهاً يتطلب الحقيقة ليس إلا ، ليتلق الطرفان نتائجه بصدر رحب — على ما يقوله الأستاذ أحمد أمين — كما يتلقون النتائج فى أى بحث علمى وتاريخى ، وكما يقع البحث بين علماء الشيعة أنفسهم ، وبين مذاهب السنة أنفسها ، مادامت السياسة بعيدة عنه ومادام بعيداً عنها

* * *

وإذا لم نستطع أن نصل إلى ما نتمناه من حمل علماء الأزهر وعلماء النجف على هذه الطريق الجيدة ، وعلى هذا العمل المبرور ، فأكبر الظن أن من السهل علينا ألا نذهب بعيداً ، فنقترح على ( الرسالة ) الهادية أن تفتح لنا بين أعمدتها سبيلاً للبحث النزيه ، وتعززنا بشجاعتها الأدبية ، فلا تصغى إلى سخط العامة — إذا ما كان — لنستطيع أن نلقى من أطمار الماضى مارث وبلى

وفى النجف عندنا جمعيّة دينيّة علمية أسست هـذا العام باسم (منتدى النشر) تسعى لهذا الواجب وتدعو إليه، (وهى تضم طبقة صالحة من علماء النجف وفضلائها)، وبصفتى كاتبها العام أذيع عنها هذه النية المحمودة، وأذيع عنها استعدادها للعمل فى هـذا السبيل. ولقـد كان لما كتبه الأستاذان (أحمد أمين) و (محمد بك كرد على) الوقع الجميل فى نفوس أفرادها، ورحبوا بهذا التفكير العالى الكبير

وفى مصر (لجنـة التأليف والترجمة والنشر) الموقّرة، ففى استطاعة الجمعيتين أن يقفا فى ملتقى الطريقين، ليأخذا بأيدى الباحثين إلى الحد المعقول، ويتلقيا النتائج للعمل عليها ونشرها فى بلاد الله، كما نريد أن نقترحه على علماء الأزهر والنجف

ندعو إلى هـذا عقلاء قومنا ليضعوا حـداً لهذه المهازل، وليقاربوا على خطّة واحدة لحلّ الخلاف. وعندى أن يسدل حجاب كثيف على الماضى البعيد، فيما يعود إلى الحوادث التاريخية التى لا تمس حياتنا العملية اليوم، فينحصر البحث فى نقطة عملية لا غنى لنا عنها

كل ما عنـد الشيعة أنها تتمسك بعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهم سفينة النجاة، ولـكن ليس كعقيدة وموالاة فحسب، فان هذه عقيدة كل مسلم اعتنق دين الاسلام مصدّقاً لما جاء به النبى (ص)؛ وإنمـا تعنى من التمسك بهم أن تأخـذ بأقوالهم فى أحكام الفقه وترجع إليهم فى دين الاسلام، ولا تعرف للتمسك بهم معنى غير هذا، وتدلل على أن ما جاء به النبى ورثوه عنه، وعلمه مكنوز عندهم وهم أمناء عليه معصومون، لا كسائر الرواة عنه وعنهم، يروون الأحاديث كنقّال يخطئون فى النقل ويصيبون، ويصدقون ويكذبون

وبهذا بَعُدت الشقّة العملية بينهم وبين اخوانهم أهل السنة، وكثر الخلاف فى الفروع الفقهية؛ فكان وضوء السنة وكان وضوء الشيعة، وكانت صلاة السنة وكانت صلاة الشيعة، وكان وكان

فان استطعنا أن نتفق ونحلّ هذا اللغز بيننا حلاً مرضياً، فقد وفّقنا الى كل شيء، واستطعنا أن نوجه جبهة الاسلام، كما يشاء لنا ديننا دين القيمة، وما هذا على الرجال المخلصين بعزيز

النجف الأشرف — محمد رضا المظفر

كاتب (منتدى النشر) العام

# النقـــــد والمثال

## لغة الشعر

### للأستاذ أحمد الزين

---

من أهم ما تتفاوت به منازل الشعراء، وتتمايز درجاتهم فى الشعر، وتتفاضل به أذواقهم الفنية فى أداء المعنى وبلوغ الغرض، ويختبر به مدى ثقافاتهم البيانية، ويُعرف منه مقدار مطالعاتهم الأدبية، ونفوذ كلّ منهم إلى حُرّ الكلام وخالصه، وارتوائه من صفو البيان وصريحه، وحفظُه لأحسن ما قرأ، وحسنُ استعماله أحسنَ ما حفظ من الكلمات والعبارات، هو ذلك الثوبُ البيانيّ الذى يُلبسه الشعراء معانيهم، وتلك الصورة اللفظية التى يُبرزون فيها أغراضهم، فبحسَب ما يكون ذلك الثوب مقدّراً على المعنى، محيطاً بأطرافه، مقيساً على أجزائه، وتكون تلك الصورة اللفظيـة مظهرةً للغرض، مبرزةً لخفايا المعنى، مصوّرةً لدقائق الفكرة، وما يودعه الشاعر بفنه فى تلك الصورة من الحياة والسحر، وما يترقرق فى الكلمات والعبارات من ماء الجمال، ورونق الحسن، وطلاوة النطق، أقول: بحسب ذلك كله يكون أثر الشاعر فى القلوب، وسلطانُ شعره على قرّائه، ومنزلتُه فى الفنّ بين نظرائه. وليس المراد بتحسـين الألفاظ وتجميل العبارات هو مجرد جريانها على قواعد اللغة، وموافقتها لنصوص المعجمات، فليس كلّ ما تبيحه اللغة وقواعدها يباح فى الشعر استعماله، ويسوغ للشعراء التعبير به، إذ الشاعر إنما يقصد فى شعره إلى الروعة والجمال وعدم الابتذال أكثر من قصده إلى مجرد جواز الاستعمال. وقد سبق أن أوضحت ذلك فى بعض الفصول التى كتبتها من زمن بعيد فقلت ما نصه: إنه مما لا ينازع فيه ذو ذوق أدبى دقيق أن للشعر لغة خاصة يتميز بها عن غيره، إذا فقدها لا يسمى شعراً بل يسمى كلاماً عروضياً، أى أنه يشبه الشعر فى وزنه وقافيته، دون ألفاظه ولغته، كما أن لكل من الكتابة والخطابة ألفاظاً خاصة يتميز بها كل منهما عن صاحبه، ويتميزان بها عن الشعر؛ والفروق الدقيقة بين

ألفاظ هــذه الصناعات الثلاث وعباراتها لا يدركها إلا من له ذوق صحيح وملكة فنية في إحدى هذه الصناعات أو في جميعها.

وقد كان بعض النقاد في العصور الأولى يسمع الشعر الجيد فيفطن بجودة حسه إلى ما فيه من ألفاظ غير شعرية، فيحكم بأنه شعرُ شاعر أو شعرُ كاتب؛ وكتب الأدب ملأى بهذه الطرائف. وقد فطن علماء الأدب المتقدمون إلى هذه الفروق فأفردوا ألفاظ الكتّاب وعباراتهم بمعجمات خاصة، منها كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني، وجواهر الألفاظ لأبي الفرج قدامة بن جعفر وغيرها؛ وفي كتاب زهر الآداب للقيرواني فصول كثيرة خاصة بألفاظ الكتّاب وعباراتهم في كل غرض من أغراض الكتّاب والمنشئين في ذلك العهد. ولم أجد من العلماء فيما راجعتُ مَن أفرد ألفاظ الشعر والخطابة بمعجم خاص، وذلك يرجع فيما أظن إلى أن ألفاظ كل صناعة من هذه الصناعات الثلاث لا تتيسر معرفتها معرفة صحيحة إلاّ لأهلها المشتغلين بها، والمتوفرين عليها، بل لفحولها المبرزين، وأعلامها المتميزين، لا لكل من اشتغل بها، فلا يمكن الكتاب أن يدركوا من أسرار لغة الشعر والخطابة ما يدرك الشعراء والخطباء أنفسهم منها، وكذلك الشعراء لا يدركون من دقائق ألفاظ الكتابة وألفاظ الخطابة ما يدركه الكتاب والخطباء أنفسهم من ذلك. وإذن فلا يستطيع تدوين لغة الشعر ولغة الخطابة غير الشعراء والخطباء أنفسهم؛ ولما كان أكثر الشعراء والخطباء لا يعنون بتأليف الكتب وتصنيف الرسائل عناية الكتاب بذلك لقلة حذقهم بصناعة التأليف فقدت المكتبة اللغوية العربية قسمين عظيمين من هذا النوع الطريف المفيد من المعجمات

وإنك لتجد فقدان اللغة الشعرية في شعر كثير من شعراء عصرنا ممن لا يرون للبيان اللفظيّ أية قيمة في الشعر، ويرون المعاني هي كل شيء، ولو أديت بأسوإ لفظ وأضعف بيان

وقد سبق في بعض الفصول أن ذكرتُ للقراء قول بعضهم في حسن النظم والصياغة اللفظية ما نصه: إنه كمال أدنى إلى النقص، واحسان أقرب إلى الاساءة. وقول الآخر في حسن الصياغة اللفظية أيضاً: لقد انقضى عهد الثرثرة والصياغة اللفظية ولن يكون الشعر الجديد شراباً يسوغ بالملعقة في غير جهد لمتناوله! فتراه يسمى حسن البيان والصياغة اللفظية ثرثرة، ويقول: إنّ عهد ذلك قد انقضى! كبرت كلمةً يقولها هذان الكاتبان وأمثالهما، إن يقولون إلا خطأ عليه العجز والغرض

والغريب أن نسمع ذلك في عصر يتعاون فيه الأدباء والعلماء والمفكرون مع أولي الأمر في جميع الأقطار العربية على ترقية اللغة ونشر الثقافة البيانية بانشاء المجامع اللغوية، وطبع أمهات الكتب الأدبية، ودواوين فحول الشعراء المتقدمين

فلا أدري بعد ذلك أيّ الأمرين أحق بأن ينقضي عهده، ويمحى أثره، هل هو التكلف والابهام والتعقيد المحير للأفهام، أو هو البيان المشرق، والأسلوب المستقيم السمح، والصياغة الصافية الواضحة؟

أحمد الزين

---

# العامية والعربية

## ألفاظ صحيحة فلماذا لا نستعمل؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المـازني

يتوهم كثيرون من النـاس أن اللغـة العامية ليست من العربية فى شىء ، ولهذا يحرسون ، حين يكتبون ، على الفرار من ألفاظها ، ويذهبون يتكلفون ، فتكون النتيجة الاغراب والمباعدة ما بين الـكاتب والقارىء ؛ ومن أجل هذا استفاض الاعتقاد بأن لغة الـكتابة غير طبيعية ، ومن هنا ظهرت الدعوة إلى اتخاذ العامية فى الـكتابة ، ليفهم الناس بغير مشقة ، ولو أن العاميـة دُرست لما كان لهذا كله محل ، وقد سمعت أن المرحوم أحمد تيمور باشا وضع معجما للغـة العامية ردها فيه إلى أصولها العربية ، ولـكنه لم ينشر ، ولا علم لى بما كان من أمره

وقد عثرت فى مطالعاتى على مئات ومئات من الألفاظ العربية يستعملها العامة وإن كانوا يحرفونها قليلاً فى النطق ، وسأورد فى هذا الفصل طائفـة منها بلا ترتيب على سبيل التمثيل ليرى القراء أن اللغة العامية جديرة بالعناية ، وأن اتقاء ألفاظها كلها خطأ ، أو جهل ، وقد جريت فيما أكتب ، على استعمال الصحيح من الألفاظ العاميـة ، واكتفيت بذلك ولـكنى أرى الآن أن التنبيه واجب ، مخافة أن يعتقد بعض القراء أن هـذا مني عن خطأ لا عن عمد

فمن ألفاظ الطعام وما إليه :

الدُّقة ــ الملح مع ما خلط به من الأبزار أو الملح المدقوق

العُجة ــ الدقيق المعجون بالسمن ثم يشوى أو يقلى ، والعامة على عجة البيض

الـكَباب ــ اللحم المشرّح

الوجبة ــ الأكلة

السُّفرة ــ المائدة

القصعة ــ الجفنة

السُّخام ــ السواد الذى يكون على آنية الطبخ من فعل النار

الطاجن ــ إناء من خزف ، يقلى فيه الطعام

العصيدة ــ طعام معروف فى مصر ، من دقيق وسمن

البرمة ــ والبرام ــ قدر وهو مشهور

عقد السكر ــ طبخه حتى ثخن

الشريحة ــ اللحمة المرققة

الهبرة ــ من اللحم البضعة لا عظم فيها ، وهبر اللحم اقتطع منه قطعة كبيرة

التسميط ــ فى رأس الخروف وغيره ، كشط الشعر عن الجلد لطبخه فى الماء

اللَّهوَجةُ ــ لهوجت الطعام لم أنضجه ، والعامة تستعمل اللفظ مجازيا

شاط الطعام وشاطت آنية الطبخ ، احترق

سفسفت الطعام أوسعته دسماً وأكثرت من السمن فيه

سلق اللحم ــ طبخه فى الماء

طبخ ومشتقاته معروفة

وهذه كلها ألفاظ عربية ، يستعملها أعرق الناس فى العامية .

ومن قبيلها أيضاً فى غير هذا الباب :

الحُلوان ــ ما تجعله للرجل من الأجر على عمل يؤديه لك

المصموصة ــ الفتاة المهزولة

الزغزغة ــ الدغدغة

الزَّعر ــ قلة الشعر ، فهو أزعر ، ويستعمل للذيل عند العوام

صوفة القفا ــ الشعر السائل فى نقرته

الشعر المفلفل ــ إذا كان شديد الجعودة

المُدرك ــ الغلام بعد الاحتلام

فروة الرأس ــ الجلدة

لبّد شعره ــ ألزقه بشىء

تكرّش الوجه ــ تقبض جلده

العمش ــ ضعف البصر ، والرجل أعمش

عظمة اللسان ــ ما فوق أصله

الحَنَكُ ــ سقف أعلى الفم

الورْكُ كالوَرِك ــ معروف

الحُق ــ مغرز رأس الفخذ فى الورك

الرُّكبة ــ ملتقى الساق والفخذ

تشيطن الرجل ــ فعل فعل الشياطين

الديوث ــ الذى يُغضى على ما يرى من هنات أهله

الدردبة ــ الجرى الذى فيه دبٌّ

الموالسة ـ المخادعة
المذّاع ـ الكذاب ، والعامة تستعملها بالزاى
البرطمة ـ كلام الغضبان
البرجمة ـ غلظ الكلام
الدندنة ـ الكلام أو الغناء بصوت خفيض
الدبدبة ـ صوت كوقع الحوافر على الصلب من الأرض
الطقطقة ـ الاسم من طقّ ، حكاية لصوت الحجر
بجم ـ سكت من عىّ أو فزع أو هيبة
فَرْشح الرجل ـ أصله أن يثب وثباً متقارباً ، وصار يستعمل للمباعدة بين الساقين
نَهَجَ ـ تتابع نَفَسه من الاعياء والتعب
السكة ـ الطريق
اكتنّ الرجل ـ صار فى كُن
تربّع ـ جمع قدميه فى جلوسه ووضع احداهما تحت الأخرى
السلفتان ـ امرأتان تزوجان أخوين
تفرعن ـ صار ذا فرعنة ، أى نكر
جهاز العروس ـ ما تحتاج اليه فى زواجها
العَزَبة ـ التى لا زوج لها
سبّع ـ أقام سبعاً
الخيش ـ نسيج خيوطه غلاظ ، ويكون من مشاقة الكتان ، والمشاقة أيضاً صحيحة
تلفع ـ بمعنى تلحف ، والتفع أيضاً ، والعامة تستعمله على حقيقته وعلى المجاز
العباية ـ كالعباءة تماماً
اللاذة ـ تكون من الحرير ، والعامة تستعملها للقطعة من الحرير يلفونها على الرأس
الكنار ـ للثوب شقة منه تكون فى طرفه
القطيفة ـ هى المخمل
الملاءة والملاية ـ الريطة التى تستتر بها المرأة فى خروجها
البرنس ـ ما يلبسه المرء بعد الاستحمام
الفوطة ـ وجمعها فُوط ، معروفة
المنديل ـ معروف أيضاً
الطُّرطُور ـ القلنسوة الطويلة
التكّة ـ رباط السراويل ، وجمعها تِكك

قوّر القميص ـ جعل له جيباً
الدرابزين ـ للسلم ، معروف
البطانة ـ للثوب خلاف الظهارة
الخياطة ـ للثياب
الشّلّ ـ الخياطة الخفيفة ، فى أول الأمر
كفّ الثوب ـ خاط حاشيته
الكُفّة ـ ما استدار حول الذيل
ثوب مُهندم ـ مضبوط
الهدم ، والجمع هُدوم ـ الأكسية
دَعَك الثوب ـ ألان خشونته ، والعامة تستعمله على المجاز
السختيان ـ جلد الماعز
القبقاب ـ نعل من خشب ، والعامة تضم أوله
الصندل والصندلة ـ شبه حذاء ، والفعل تصندل
الشيء المسيخ ـ الذى لا حقيقة لطعمه
الفطور ـ ما يفطر عليه المرء فى العادة أو بعد الصيام
القرن ـ ناحية الهامة
الفرطح ـ العريض
السِّقط ـ الولد يوضع لغير تمام
الطلق ـ وجع الولادة
الأجرد ـ الذى لا شعر عليه ، والعامة تقول الأجرود
نَسَل الشعر والصوف والريش وغيره ـ سقط
البعبعة ـ تتابع الكلام فى عجلة وبصوت أجش
الصفارة ـ كالزمارة
كركر ـ وقرقر ـ رفع صوته بالضحك
هأهأ ـ قهقه

* * *

وهناك آلاف من الألفاظ أهملتها لأنه لا خلاف على صحتها ، مثل المرود ، والمكحلة ، والمشط ، والضفيرة ، واللحاف ، والزر والعروة ، والكم ، والابرة الخ الخ ، وقد أهملت هذا الضرب لأنى أردت أن أسوق الألفاظ التى يتوهم الناس أنها غير عربية ؛ وسأورد طائفة أخرى فى فصل غير هذا . ولو عنى رجال المجمع الملكى للغة العربية بمثل هذا البحث لأراحوا أنفسهم من عناء شديد يكابدونه ، ولكان هذا أولى مما يعالجونه من النحت وما إليه وليسروا الأمر على الناس ؟

ابراهيم عبد القادر المازنى

في بلاد اليونان

# قـــدر

## للأديب أحمد الطاهر

وقفنا خاشعين صامتين مطرقين ، وأنصتنا إلى الكاهن يتكلم في وناء وتؤدة ووقار : يقص علينا من التاريخ قصصاً . وما كنا نفهم من يونانيته ونحن مصريون شيئاً ، ولكن ظلمة المكان ، ورهبة المعبد ، وخشوع السامعين من أهل اليونان ، وصوت الكاهن يرن تحت هـذه القبة العتيقة ، كل ذلك قد استولى علينا فأنصتنا كالسامعين وأطرقنا كالفاهمين ، وتتبعنا حديثه كما لو كان يتكلم بلسان عربي مبين

وانتهى الكاهن من قصصه ، وصافحناه ، وشكرنا له فضله وخرجنا وعلى وجوه اليونانيين عما سمعوا من الكاهن آثار مقروءة من السرور والألم ، والرضا والسخط ، والفخار والحسرة ، يجتمع بعضها إلى بعض

قلت لصاحبي اليوناني المتمصر : « عجل فانني جد مشتاق إلى فهم حديث الكاهن ، وما أحسبه إلا لذيذاً ممتعاً » قال : « إنه حقاً لذيذ ممتع ، وسأقصه عليك كما سمعته من فمه . » وسكت برهة كأنما يستجمع ذكريات ، ثم قال : « أنظر إلى هذه الشجرة العتيقة القائمة في فناء الدير ! » فنظرت إليها وقلت : « ليست إلا شجرة عتيقة قائمة في فناء الدير ! » قال : إنها صفحة من صفحات التاريخ قرأها لنا الكاهن ، وقرأ لنا صفحات أخرى منها دير آخر يسمى ميفاسبليون مررنا عليه في طريقنا من أثينا إلى دير أجيا لافرا الذى نحن فيه . ولا تنس قبل أن أقص عليك الحديث أننا على قمة جبل رفع هامته في الفضاء ألف متر ، ثم استقر ثم اكتسى رداء أخضر من شجر الصنوبر، وطاول به جبال سويسرا وازدهى به بين بقاع العالم التى خلعت عليها الطبيعة جمالها . واعلم أن هذا المكان . . . » قلت : « يا صاحبي ! حنانيك لا تطل علي ولا تباعد بيني وبين الحديث فما طلبت وصف ما رأيتَ وما رأيتُ ، وأنا وأنت مهما حاولنا وصف المكان فلن نجعل له من ألفاظنا صورة تصلح لأن تدنو من حقيقته ، وحسبي وحسبك أننا متفقان على أن الله قد خلق هذا المكان فيما خلق فأبدع خلقه ، وصوره فيما صور فأحسن تصويره ، وجعل في الناس صدق النظر وحسن التمييز فتراموا عليـه من كل حدب وصوب يتمتعون بجماله ويسبحون بحمد خالقه » قال : « ولكنك لا تفهم كلام الكاهن ولا تتذوق حديثه إلا بعـد مقدمتي الطويلة فاصبر على ما لم تحط به خبراً . . . إن هذا المكان لم يكن الوصول اليه في الزمن السالف يسيراً كما هو الآن : فهذه الجبال التى يزحف عليها قطار السكة الحديدية جاهداً كالأسير يرسف في الأغلال ، ولا يصل إلى علياتها إلا بأضراس من حديد وأسنان كأسنان المشط ترفده كلما ارتفع ، وتصده كلما ارتد أو همّ أن يقع ، هذه الجبال لم يكن من السهل أن يرقى اليها الانسان ، ولا أن يخترق جوفها كما يفعل الآن ، ولا أن تطأ هاماتها الأقدام ، ولا أن تفسد جمالها هذه المدنية القائمة على الحديد والنار ، ولا أن يعكر صمتها ويغض من جلالها صخب الناس في الليل والنهار . ولذلك اتخذها الرهبان مثابة ، ولجأوا اليها يتعبدون ، وما أحسب الجبال قد برمت بهم وقد وجدت بينها وبينهم صلة وشيجة من الصمت والوقار والرهبة والتنزه عن هوان الدنية ، إذا علمت هذا فاعلم أن الجبال والرهبان قد أنس بعضهم ببعض وقطعت الطبيعة ما بينهم وبين سائر الخلق من أسباب ، واتخذ بعضهم اجيالافرا التى نحن فيها مثابة ومتعبدا ، أقاموا فيها ديرهم وبيعتهم الصغيرة التى سمعت فيها حديث الكاهن ، واتخذ بعضهم ميفاسبليون التى مررنا بها مثابة ومتعبداً آخرين وأقاموا فيها ديرهم وبيعتهم الصغيرة ؛ وسكن الرهبان إلى الجبل ، وسكن الجبل إلى الرهبان

ولكن ظلم الانسان للانسان لا تنقطع أسبابه ، ولا تنسد أبوابه ، ففي عام ١٨٢١ الذى بدأ الكاهن منه حديثه كان أهل اليونان قد أضناهم الضيق ، وأعيتهم الحيل ، وأمضهم الظلم ، مما يلقون من عسف الترك وحكمهم الجائر . ففي غسق الليل مشى رؤساء القبائل وكبار الرهبان بعضهم إلى بعض يهمسون بالثورة والتمرد ، وما كانوا ليستطيعوا اعلان الثورة أو الاصحار بالتمرد ، بل ما كانوا ليستطيعوا أن يعلنوا مادون الثورة والتمرد مما يسمى شكوى

أو رجاء أو استرحاماً أو ما دون ذلك من ألفاظ الذلة والهوان . ولقيت الدعوة الخافتة من النفوس استعدادا . واجتمعوا تحت ستار العبادة فى هذا المكان ليدبروا أمراً : قال الأحبار : « نحن قادة الثورة وحاملوا لوائها باسم الأمة واسم الدين . » وقالت العشائر : « آمين ! » ، وقال كل حبر من الأحبار : « أنا قائد القواد ولوائى هذا هو اللواء الأعظم عالى من المكانة بين الحاضرين » ، فدبت بينهم الشحناء واقتسموا شيأً بعضهم لبعض عدو

ثم خرج إليهم كاهن هذا الدير وفى يده لواء واحد وقال : « لا لواء إلا هـذا اللواء الأعظم : عليه صورة المسيح ، أتجدون خيراً منه تستظلون بظله وترتدون إلى فيئه ؟ » قالوا « إنا معك وإنا لك لأجناد مخلصون » وانضموا إليـه خاضعين يستظلون بلوائه الكنسى ، وهذا هو اللواء الذى كان الكاهن يشير إليه وهو يحدثنا ، وهذا النصب الذى تقيمه الحكومة اليوم إنما يقام تمجيداً لهذا المكان وتخليداً لهذه الذكرى ؛ فهنا اشتعلت نار الثورة الأولى ، وهنا اتحـدت القبائل والأحبار ، وهنا وضع أساس استقلال البلاد ، وجاهد القوم أعواماً ذاقوا فيها حلاوة النصر ومرارة الخـذلان حتى استنجدت الدولة العثمانية بمطل مصر ابراهيم باشا ؛ وما هى إلا أيام حتى بدا القائد العظيم من فوق هذه الجبال ، ثم انصب على هذا الدير ووقف بجواده تحت ظل هذه الشجرة العتيقة ، وقد انتشرت جيوشه على الجبال فى سفحها وعلى قممها وفى وديانها ، وأحاطوا بالمكان إحاطة السوار بالمعصم . قال ابراهيم باشا : « احرقوا هذه البيعة حتى يخضع من فيها من الثوار » فحرقوها وخضع من فيها من الثوار ، وارتد ميمما البيعة التى فى ميفانسيليون ، وكأنه عز عليه أن يمضى فى حرق البيع والأديرة ، فأرسل إلى رهبانها كتاباً قال فيـه : « إما أن تخضعوا أو أحرق بيعتكم كما أحرقت بيعة اجيالافرا » واجتمع الأحبار يتشاورون ، ثم دفعوا إليه بكتاب يقولون فيه : « إنك إذا حاربتنا ثم انتصرت علينا فما فى النصر ما يدعو إلى الزهو والفخار ، فـما انتصرت إلا على بضعة نفر من الرهبان والأحبار ، وأنت ذو حول وقوة بما جمعت من جيوش جرارة ، وخيل كرارة ، وأسلحة ممشوقة ، ودروع محبوكة ؛ وأما نحن فعددنا خفيف ، وشأننا ضعيف ، ليس بأيدينا من سلاح إلا هذه المسابح نسبح الله عليها فى همس ووناء ، وليس على أجسامنا إلا هذه المسوح السوداء ، نحمى بها أجسامنا من قر الشتاء ، ولا مركب لنا فى هذه الجبال إلا أقدامنا الـكليلة أو بغالنا الهزيلة ، وإن قدر لنا أن ننتصر عليـك ، ونحن على ما ترى من ضعف وهوان ، فما أشـده من عار ، وما أمره من انكسار ، فتدبر أمرك وأمرنا ، واقض بالرأى الأصيل »

قرأ ابراهيم خطاب الأحبار فاستشاط غضباً وأمر بالجزيرة [1] أن تحرق كلها عـا وسمت . وأشعل الجند فيها النار ، والنار إذا امتدت فى هـذه الجبال وغاباتها لا تبقى على شىء ولا يصدها شىء . إلا أن يرسل الله من السماء أمطاراً ، أو يجرى الوديان أنهاراً . واحترقت الجزيرة وكل ما فى الجزيرة : إلا هـذا الدير الذى يسكنه هؤلاء الأحبار ، فما امتدت إليـه شرارة من نار ، وبقى معتصماً بمكانه العالى ، يهزأ من فعل النـار ولا يبالى ! وقال الناس : « حقاً تلك إحدى المعجزات ! » ، مضى على هذا الحادث مائة سـنة وعشر سنين حتى كان عام ١٩٣٤ ، وإذا بالدير وبيعته تندلع منهما النار ، لا يعرف لها سبب ، ولا يصد لها لهب ، وأصبح الناس فـما وجدوا إلا هشيما تذروه الرياح . وفزعوا يحاولون انقاذ بعض ماحوى الدير من تحف ونفائس فأنقـذوا شيئاً قليلاً . وبحثوا عن كتاب ابراهيم إلى الأحبار وصورة كتاب الأحبار إلى ابراهيم فاذا النار لم تبق على واحـد منهما . وماذا تغنى كتب القواد والأحبار ، إذا حم القضاء واشتعلت النار ؟ أليس حديث الراهب لذيذاً وعجيباً ؟ »

قلت : « وأعجب ما فيه هذه النار : أشعلها بالأمس ابراهيم فكانت على الدير برداً وسلاماً ، وأشعلها اليوم القدر فتركته حطاماً . »

اليوزباشى أحمد الطاهر

(١) الجزيرة يقصد بها شبه جزيرة موره

في الأدب الإنجليزي

# ٢ـ الكائنات الغيبية

## في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيري حماد

يجب علينا لفهم هذه الروح في شعر شكسبير أن نطلع على الحالة العقلية التي كانت تسود عصره والعصور التي سبقته . قال كلارك : « لقد كان هناك عدد عظيم من الملحدين والمشككين وجدوا في عصر كان بمثابة الخطوة الأولى في ترقية العلوم المعروفة لدينا الآن . فقد كان تلاميذ كوبرنيكس الفلكي يتساءلون ويتجادلون في كل ما عرف من النظريات الفلكية من قبل ، وكان هناك نفر آخر من الكيميائيين دحضوا حجج مدعي الكيمياء القدماء ، ولكن هذا النضال لم يكن مقتصراً على جماعة المجددين فحسب ، بل وجد هناك نفر آخر من القدماء المقلدين الذين كانت أقصى غايتهم مقاومة هذا التيار الجارف . وإن من الغرابة أن نجد الملكة اليصابات تستشير المنجمين والدجالين في تعيين الوقت المناسب للاحتفال بتتويجها ملكة على انكلترة » (1)

ومن حسن حظ العلم قيام عدد من المفكرين أثبتوا فساد كثير من النظريات القديمة المألوفة فبزغ نجم رينولد سكوت (Reginald Scott) لما هاجم عدداً من العقائد الدينية المألوفة ، ولم يقتصر هذا التجدد على المفكرين من رجال العلم بل تعداه إلى رجال الكنيسة أنفسهم فظهر هناك من رجال الكهنوت عدد حاول إصلاح الديانة مما طرأ عليها من الخرافات والأباطيل

أما الخرافات فكانت تسيطر على جميع مناحي الحياة في ذلك العصر . فكان السحر بطرقه المختلفة مهنة تمتهنها النساء اللواتي كانت تغلب عليهن صفة الذبول والكبر وبشاعة المنظر . وكان معظم هؤلاء النسوة من الشريرات القذرات ممن كان أقصى غايتهن ايقاع الضرر وبذر المساوئ في المجتمع البشري . غير أنه وجد

(1) Clark. Sh. & the Supernatural P. 21

في نفس العصر بعض ساحرات كان همهن شفاء المرضى والقيام بخدمات حسنة للمحتاجين والمهددين بالأخطار

قام الناس على اختلاف طبقاتهم يناوئون السحر والسحرة فهاجموا الساحرات في عقر دورهن وكانوا يأخذونهن راسفات في الاغلال إلى السجون حيث ينتظرن محاكمتهن أمام مجلس من القضاة الذين كرهوا السحر وما يأتي به أمثال هؤلاء الشريرات من موبقات وآثام . فكانوا يعذبونهن بأشد أنواع العذاب . فمنهن من ربطن إلى جذوع الأشجار حيث ذقن الموت جوعاً ، ومنهن من كان يطلب إليهن اعادة الصلوات قبل القائهن في النار المضطرمة

وكان من السائد على أهل ذلك العصر أن ينظروا إلى السحرة كأنهم على اتصال بالشيطان . قال كلارك في كتابه : « ان من أبغض الأمور التي كان يتعاطاها السحرة في عصر اليصابات وما قبله ذلك النوع من السحر الذي كان يعرف بالعين الشريرة (Evil Eye) فكان من جملة معتقداتهم أن في استطاعة الساحرة أن توقع الضرر أو تميت الناس بمجرد القائها عليهم نظرة من نظراتها النارية ؛ فهذا العمل الذي كان يعتبر من أشد أنواع السحر ضرراً هو بمثابة الحجر الأساسي في بناء علم التنويم المغناطيسي المعروف لدينا الآن »(1)

وكان هناك نوع آخر من السحرة أقل ضرراً وخطراً ، ذلكم هو نوع العرافين أو المنجمين الذين كان الناس يقصدونهم كما يقصدون قارئي الكف في يومنا هذا . فكانوا يوهمون قاصديهم باتصالهم بالسماء والعالم العلوي فيقرأون المستقبل في الماء والهواء ، في النار والدخان . وكثيراً ما كانوا يضطرون إلى استشارة أرواح الأموات أو تأويل صياح الديكة في تفسير مايرونه من حقائق وأحلام

أما العفاريت فكان الناس يؤمنون بوجودهم الايمان كله ، وما هم إلا بقايا الأشخاص الخرافيين الذين عاشوا في عصر من العصور السالفة وأصبح في استطاعتهم بعد ذلك أن يهيمنوا على الانسان فيحولوا أعماله حسبما يريدون وانى يشاءون . ثم كان هذا الاعتقاد سائداً لدرجة أن أصبحت الكنيسة تعلم أبناءها

(1) Clark. Sh. & the Supernatural P. 39

أن لكل رجل فى هذا العالم رفيقاً من عالم آخر يحميه ويقيه غائلة الشر

وكان هنالك نوع آخر من الخرافة هو عالم الأشباح والخيالات . فما الشبح إلا روح غادرت جسدها المائت وانتقلت من عالم الأموات إلى عالمنا هذا ترفرف فى الفضاء لتحقيق غاية من الغايات شريرة كالانتقام والقتل ، أو خيّرة كحماية البشر وصد الآلام عنهم . أشباح مرئية وأشباح غير مرئية تحلق بأجنحتها فى الفضاء فتملأ العالم خيالات لا يحصر عددها ولا يعرف مقدارها

عصر كله خرافات تتسلط على عقول أبنائه الأوهام ، ذلكم هو عصر اليصابات الذى يصفه كلارك بقوله : « على رغم أن ذلك العصر كان عصر بداءة وتمهيد للعلوم المعروفة لدينا الآن ، إلا أن معرفة الحقيقة والطبيعة لم تكن متقدمة للدرجة التى يستطاع بواسطتها القضاء على الخرافات السائدة ؛ فكان الناس يؤمنون بالسحرة والدجالين ، بالفلكيين والمنجمين ، بالحوريات والجنيات ، بالرقى والعزائم ، بالأحلام والاتصال بالأرواح . هذا الاعتقاد السائد كان أكبر عامل فى وجود هذه العوالم فى روايات المؤلفين الذين لم يستطيعوا بأى حال من الأحوال أن يخرجوا عن محيطهم وبيئتهم »[1]

## شكسبير والعقائد العامة :

شأن الشاعر أن يدون فى شعره كل ما كان معروفاً فى عصره من العقائد العامة ، وهكذا كانت حال شاعرنا شكسبير ، فقد عرف تمام المعرفة أن الخرافات القديمة كانت مواضع خلابة استعملها شعراء الاغريق والرومان فى صوغ عباراتهم وتفسير معانيهم ودقائقهم . ولم تكد العصور القديمة تنطوى فى عالم السجلات والتاريخ حتى ظهر هناك عالم خرافى جديد كان فى حد ذاته خليفة للعصور التى سبقته ، ذلك العصر هو عصر القرون الوسطى التى لم يستطع الشعراء الاستغناء عن خرافاتها فى لغتهم عما نقله السلف عمن سبقهم

ومما لاشك فيه أن شاعرنا قد تأثر بعدد غير قليل من العوامل : كالجنس والمحيط والبيئة ، فكان أفراد جنسه « يعتقدون أن كل ما هو غير مرئى حقيقة لا شك فيها ولا نقض » ، ولم تكن الخرافات فى عصره قد حوول مهاجمتها محاولة صادقة . نعم كان الاصلاح الدينى قد أخذ فى الانتشار فى البلاد الانكليزية إلا أنه كان مقصوراً على المدن . أما القرى فلم تكن قد تأثرت بهذا الاصلاح أى تأثير

عاش شكسبير فى عصر اضطربت فيه العقائد وتضاربت فيه الآراء ، فاعتقد بعض الرجال المتطلعين اعتقادات كانت بعيدة كل البعد عن عقول غيرهم من الناس ؛ وإن من حسن الحظ أن شكسبير يحاول فى بعض رواياته أن يظهر لقارئيه عقائده وآراءه الشخصية . فهو يعتقد فى الخرافات ، ولكنه يتساءل عن أصلها وكيفية ظهورها ، فهو يقول على لسان الأمير هملت :

« هل من الممكن أن نحسب ذلك الشخص الذى يقضى أوقاته كلها فى الأكل والنوم رجلا ؟ كلا إنه لا يتعدى أن يكون حيواناً فقط . إن من المؤكد أن ذلك الاله الذى وضع فينا قوة المجادلة والتمييز بين ما نعمله وما لا نعمله لم يضع فينا هذه القدرة لنتركها دون أى استعمال أو ممارسة ، أما الآن فسيان عندى إن كان هذا الفكر مجرد وهم أو غموض سماوى . فالفكر لا يحوى فى حد ذاته إلا جزءاً من أربعة من الحكم والصواب ، بينما اجزاؤه الثلاثة الأخرى لا تخرج عن كونها من عوامل الجبن والخوف ، فلا يمكنني الجزم فيما إذا كنت قد خلقت لأقول مجرد القول فى أن هذه الأمور يجب على أن أعملها ، فى حين أنى قد أوتيت القوة والارادة والحق فى عملها والقيام بها »[1]

إن من الصعب على الشاعر أن يستطيع البحث فى موضوع سماوى بطريقة جدية ترتكز على تفكر وبحث عميقين دون أن يكون له أدنى اعتقاد فى هذه الامور التى يبحث فيها ؛ وبنظرة عميقة لروايات شكسبير يمكنك أن تحصل على نتيجة لبحثه فى مثل هذه المسائل . وقد قال روف (Roffe) فى كتابه (شكسبير وعقيدته فى الأشباح) : « لم يستطع شكسبير أن يجعل أشخاص رواياته ينطقون عن عقائده ، ولكنه استطاع أن يظهرها فى رواياته »

(يتبع) خيرى حماد

(1) Clark. Sh. & the Supernatural P. 33

(1) Hamlet IV 4. 40—46

# ٤ – الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند المسلمين في العصر الحاضر

لأبي النصر أحمد الحسيني الهندي

فلسفته

إن كل شيء في هذا العالم متصف بالفردية ، حتى الحياة أيضاً لا تخلو من ذلك ؛ ولا وجود في الخارج للحياة الكلية التي ينشدها بعض المذاهب الفلسفية والصوفية ، فالله أيضاً فرد واحد ليس كمثله شيء ؛ وأما الكائنات فهي عبارة عن مجموعة الأفراد ، ولكن النظم ، والنسق ، والتوافق والتطابق الموجودة فيها ليست بنفسها كاملة . ومهما كانت فهي نتيجة سعي الأفراد الغريزي ، وعلى هذا فنحن نتقدم بالتدريج من الفوضى إلى النظام ، ومن النقص إلى الكمال . وعدد أفراد هذه المجموعة غير محدود ولا معين ، فانه يزداد كل يوم ويتضاعف . فالأفراد الحديثو الولادة يشاركوننا بدورهم ويساعدوننا للبلوغ إلى هذه الغاية العظمى — الكمال ، ولذلك كان عمل الكائنات غير متناه ، لأنها لا تزال تتدرج في مدارج الكمال وترقى إلى ذرى المجد . وعلى أن الكائنات لم تنل الكمال المنشود بتمامه بعد ، وما تفتأ تستنفد وسعها وتفرغ مجهودها في بلوغه فلا يمكن أن يقال في شأنها الكلمة الأخيرة ، وما يمكن أن يقال فيها هو أنها ليست بحقيقة كاملة . وعملية الخلق فيها جارية يقوم فيها الانسان بنصيبه ، ويشترك فيها إلى أن يقدر أن يوجد النظام على الأقل في جزء من فوضاها ؛ والقرآن قد اشار إلى مثل هذا الخلق في الآية : « فتبارك الله أحسن الخالقين »

فنظرية اقبال هذه في الانسان والكائنات خلاف ما يراه الانجليز وغيرهم من أتباع مذهب الهيجلية الحديثة أو الصوفية في مسئلة وحدة الوجود من أن الغاية القصوى لحياة الانسان ونجاتها في أن تندمج في الحياة الكلية كما تندمج القطرة في البحر وتفقد فرديتها

ليست الغاية الأخلاقية للانسان ولا مرمى دينه أن يبيد وجوده باتلاف فرديته وافناء أنانيته ، بل أن يحافظ على فرديته وأنانيته ، وذلك بالحصول على أمثل الصفات وأعلاها التي تجعله فريدا وحيدا . والنبي عليه الصلاة والسلام قد أبانه بقوله : « تخلقوا بأخلاق الله » ، أي اتصفوا بصفات الله ، لذلك كلما كانت صفات الانسان أشبه بصفات الله كان فريد زمانه وواحد عصره .

أما الحياة فيرى اقبال أنها اسم آخر للفرد . وأسمى صورة لها تحققت إلى الآن هي الأنانية التي بها يصبح الفرد مركزا مستقلا ؛ فالانسان مركز مستقل من كلا الجهتين ، أي الجسمانية والروحانية ، لكنه ليس بفرد كامل . والفرد كلما كان بعيدا عن الله كانت فرديته ناقصة وأحط درجة ، وكلما كان قريباً من الله كانت فرديته كاملة وأرفع منزلة . وليس معنى القرب هذا أن تكون نهايته الفناء في الله أو الأندماج فيه كما قرره بعض الصوفية والفلاسفة ؛ بل خلافا لذلك هو يجذب الله اليه ، أي يتصف بصفاته وأخلاقه [1] ؛ وإلى هذا أشار اقبال في بيت من ديوانه « پيام مشرق » التبس مفهومه على البعض ، قال :

« دردشت جنون من جبريل زبون صيدى
يزدان بكمند آور أى همت مردانه !
إن في صحراء جنوني جبريل صيد تافه
يا همتي الشماء ائتي في أنشوطتك بالله . »

يريد به أن الاتصاف بأوصاف الملائكة عنده شيء تافه بل هو يتوخى بهمته الشماء صفات الله

إن الحياة شيء متقدم . هي حركة تجذب الكائنات إلى نفسها بالغلبة على مشاكلها ومعضلاتها العائقة لها عن سيرها وتقدمها ، وجوهر وظيفتها خلق الأماني والأغراض الجديدة بالاستمرار والتقدم ولصون نفسها قد أوجدت الحياة الوسائل ، أوهي ظهرت طوعاً لشريعة الارتقاء ، وهذه الوسائل هي الحواس الخمس والقوة المدركة التي بها تغلب المشاكل والمعضلات ، وإن كان أكبر العوائق في طريقها الطبيعة أو المادة ، لكنها في ذاتها ليست بشر ، إذ هي تمكنها من إبراز قواها الخفية واستعداداتها المكنونة

(١) وقد ورد هذا المعنى في حديث صحيح رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال : . . . . ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . . . الخ وهو خلاف الفناء والاندماج

إن الأنانية حينما تستولي على المشاكل والمعضلات وبين شأوها عليها تنتقل من الجبر إلى الاختيار فإنها إلى حد ما مُجبرة وإلى حد ما مختارة كما ورد في الأثر أن « الايمان بين الجبر والاختيار » ، ومتى نالت النهاية القصوى من زلفى الانانية العظمى (أي الله) التي ليس كمثلها شيء في الحرية والاختيار تمتعت بأقصى مدى من الاختيار والحرية ، وعلى هذا فالحياة عبارة عن الجهد المستمر للوصول إلى ذلك المدى من الاختيار والحرية

قلنا إن مركز الحياة في الانسان الأنانية التي تملي شخصيته على صفحة الوجود ، والشخصية هذه عبارة عن حالة الجهد المستمر ، فاذا احتفظ بتلك الحالة ، بقيت الشخصية ثابتة البناء مشيدة الأركان ، وإذا فقدت ، ضعفت قواعدها وانتكثت مرائرها ، وبما أن الشخصية أو حالة الجد المستمر أبعد الغايات للانسان وأثمنهـا ، فينبغي له ألا يدعها ترث قواها فتضعف ، وتنحل عراها فتفنى . لأن بقاءها هو الذي يسبغ عليه الدوام والخلود ، ثم فكرة الابقاء هـذه تعطي له أيضاً معياراً للخير والشر أو الحسن والقبح . فإن كل ما يقويها خير وحسن ، وكل ما يضعفها شر وقبيح ، سواء أكان من نوع الفن [1] أم الدين أم الأخلاق

على ضوء هذه الآراء انتقد اقبال فلسفة أفلاطون فدحض حجج جميع المذاهب الفلسفية التي تعتبر غاية الانسان الموت بدل الحياة ، فتلقنه الجبن والوهن وذلك بحمله على الأعراض عن المادة التي هي أكبر العوائق في طريق حياته ، والابتعاد عن مقاومتها ، مع أن جوهر الانسانية في الاستيلاء عليها واستخدامها لنفسها بالبطولة والفحولة [2]

وكما أن الاستيلاء على المادة ضروري لنيل الحرية والاختيار كذلك الغلبة على الزمن لازمة للحصول على الخلود والدوام ؛ و(برجسون) قد علمنا أن الزمان ليس الخط اللامتناهي (في مفهوم الخط المكاني) الذي لابد أن نجتازه سواء رضينا به أم لم نرض . ولكن هـذا المفهوم للزمن ليس بصحيح فإن مفهوم الزمن البحت لا يشمل مفهوم الطول

إن الخلود غاية الانسانية وأمنيتها ، يحوزه كل من يسعى لذلك ، وحيازته تتوقف على تلك الأعمال والأفكار من حياتنا التي تقدر أن توطد أساس الانانية على حالة الجد المستمر وتشيد أركانها ، فديانة بوذا وتصوف إيران وأمثالهما من نظريات فلسفة الأخلاق لا تصلح لمآربنا وإن احتوت على بعض الفوائد وهو أننا بعد اجهاد أنفسنا واستغراق وسعنا بالاستمرار نحتاج إلى راحة قليلة لتجديد قوانا ، فكأن تلك الطرق للأعمال والأفكار كالليالي لأيام حياتنا

وعلى كل حال فتى تمكنت أعمالنا وأفكارنا من توطيد حالة الجد المستمر في الأنانية ، فالأرجح أن الموت لا يؤثر عليها ، بل يحتمل أن تكون الفترة بين حياتنا الحاضرة وحياتنا الأخرى هي فترة الراحة ، وتلك الفترة هي التي عبر عنها القرآن بعالم البرزخ الذي يبقى إلى يوم البعث ، فتلك الأنانية وحدها يمكن ألا تتأثر من الموت وتخرج من الفترة فائزة ، التي قد اعتنت بالحياة الحاضرة اعتناء جيداً ، وإن كانت الحياة تأبى الاعادة والتكرار في مدارج الارتقاء ، ولكن على حسب مبادئ فلسفة برجسون ، كما يقول لنا الأستاذ ولدن كار ، حشر الأجساد أيضاً في حيز الامكان التام . إننا نوزع الزمن في اللمحات لذلك نربطها بالمكان فيصعب علينا عبره ، ولكننا ندرك حقيقته حين نغوص في أنفسنا لأن الزمن الحقيقي هو حياتنا ، تلك التي توطدت فيها الأنانية بحالة الجد المستمر ، اننا محكومون بالزمن إلى أن نراه مربوطاً بالمكان ، إن الزمن المقيد بالمكان سلسلة لفتها الحياة حول نفسها لتجذب ما حولها إلى نفسها ، وإلا فنحن مجردون عن الزمن ، وهـذا التجرد يمكن أن نشعر به حتى في حياتنا الحاضرة وإن كان لدقيقة

إن الشيء الذي يقوي الأنانية هو العشق في مفهومه المطلق ومعناه جذبك الشيء أو طلبك إياه لتجعله جزءاً من نفسك ، وأسمى صورة له هو ما يمكّن صاحبه من خلق القيم والغايات ، ويدفعه إلى السعي في تحقيقها وبلوغها ، ثم العشق يجعل العاشق فريداً كما يجعل المعشوق ، وذلك أن طلب الفرد المعين الأوحد يوجد شأن الانفراد في الطالب عن غيره كما يوجد في المطلوب ، فانه لا شيء غيره يرضي طلب الطالب ، وكما أن العشق يقوي الأنانية ، كذلك الاستجداء يضعفها ، فكل شيء نيل بغير المجهود الشخصي هو من قبيل الاستجداء ، فالابن الذي يرث

(١) وقد لخصنا رأيه في الفنون والملاهي في حاشية مقالنا السابق فراجعه

(٢) وفي القرآن : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » وغيرها من الآيات تفيد هذا المعنى

ثروة أبيه من دون مجهوده الشخصي مستجدٍ ، ومثله ذلك الذى يفكر بفكر الآخرين ويرى برأى غيره . وبناء عليه ينبغى لنا أن نوجد ونربى فى أنفسنا العشق أى قوة الجذب ونجتنب جميع أنواع الاستجداء ، وإليه أشار اقبال فى بيت ترجمته :

« إن الملكة التى لم تشتر بالدم
هى عار على المسلم »

بقى أن نسأل كيف نوجد العشق ، فيقول اقبال : إن المسلمين على الأقل فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام رداً على ذلك ، فانه عليه الصلاة والسلام قد وضح بأعماله وحياته ما هو العشق ، وكيف يمكن القيام به ، لذلك ينبغى للمسلمين أن يختاروا حياته عليه الصلاة والسلاة أسوة لأنفسهم وأن يحبوه ، وإليه أشار اقبال فى بيت قال :

« هر كه عشق مصطفى سامان اوست
بحر وبر در كوشه دامان اوست
كل من يكون متاعه عشق المصطفى
يكون البحر والبر فى طرف ذيله »

ان الأنانية فى صعودها إلى فروع العلى ، وبلوغها إلى رفعة الكمال حيث تتمتع بفردية كاملة بنيل زلفى الأنانية العظمى لابد أن تجتاز ثلاث مراحل : مرحلة الخضوع للشريعة ، ومرحلة ضبط النفس وهى الصورة العليا للشعور الذاتى ، ومرحلة الخلافة الآلهية

ففى مرحلة الخضوع يفسر لنا اقبال أنه للتقدم لابد من مسلك يسلك ، ومن مشرع يورد ، ومن قانون يخضع له . لذلك كل من يصبو لمارج الكمال ، ويطمح إلى سنام المجد ينبغى له أن يطيع الشريعة . وفى بيان مرحلة ضبط النفس يقول اقبال إن النفس الانسانية لأمارة بالسوء ، فهى معجبة بذاتها ، أبيّة ، عنيدة ، لاتهتم إلا بأمر نفسها . لذلك هى محتاجة إلى الضبط والتهذيب . فخير طريق لذلك هو إقامة أحكام الشريعة . فالصلاة تنقذها من الفحشاء والمنكر ، والصوم يقتل غلتها وترفها ، والحج يذيقها لذة الهجر ويخفف عنها سلطان الحب للوطن ويضمها إلى الاجتماع الاسلامى العام فيجعلها تشعر بجنسية الاسلام ، والزكاة تبيد حبها المال وتعلمها المساواة .

أما الخلافة الآلهية فهى النهاية القصوى للتقدم الانسانى على سطح الأرض ، هى الأنانية الكاملة والغاية العليا للانسانية ، وقمة الحياة من حيث العقل والجسم . ففيها يتحول تشتت الأفكار فى الحياة الذهنية واختلافها وتنافرها إلى التناسق والتوافق ، فتقدر حينئذ على حل جميع العقد المنيعة المطلب والصعبة المرام . هى ملتقى الكمال للعلم والقوة ، ونقطة الاتصال بين الفكر والعمل ، والعاطفة والعقل . ومن استحقها كان آخر ثمرة لدوحة الانسانية ، وظهوره يبرر جميع آلام الارتقاء ومحنه لأنها كانت قائمة لأجله . هو يكون حاكماً حقيقياً على البشر وحكومته تكون حكومة إلآهية على الأرض . هو يسبغ من خصب طبعه على الآخرين بحبوحة الحياة ويقربهم إلى نفسه . فكلما يتقربون إليه تتدرج حياتهم فى مدارج التقدم والكمال

إن بلوغ الانسانية إلى أقصى مدى من التقدم عقلاً وجسماً شرط ضرورى لولادة ذلك المستحق للخلافة . لذلك كان وجوده فى الحال فى عالم المثال ، ولكن تقدم الانسانية سائر إلى إنتاج طبقة الأفراد المنفردين فى أوصافهم الحميدة قلةً أو كثرةً ؛ فهؤلاء سيكونون أجداده

أما الحكومة الآلهية فمناها الديموقراطية المكونة من الأفراد المنفردين فى أوصافهم الحميدة قلة أو كثرةً برأسهم الفرد الوحيد الذى لا نظير له على وجه الأرض . كانت أشباح هؤلاء الأفراد تجول فى فكر الفيلسوف الألمانى نيتشه ؛ ولكن إلحاده وتعصبه الأرستقراطى شوهها تماماً (١)

هذا ما عن لنا من فلسفة إقبال الآن ؛ وسنقدم إليك معالم الاتفاق والاختلاف بينه وبين فلاسفة الغرب فى المقال الآتى إن شاء الله ؟

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

---

(١) إن الدكتور إقبال قد وضح منذ عشرين سنة الفرق بين ديموقراطية أوربا وديموقراطية الاسلام فى مجلة العهد الجديد ؛ ونحن نلخصه هنا قال :

« إن ديموقراطية أوربا للوروفة بأظلال الشيوعية والمحيطة بمخاوف الثورة نشأت فى الحقيقة من التجديد الاقتصادى للهيئات الاجتماعية الأوربية . ولكن نيتشه على كل حال ينكر حكومة الجماعة مثل هذه ويقنط من عامة الناس ، ويؤسس جميع الثقافات المالية على ظهور وتثقيف سبرمان ( أى ما فوق البشر ) ؛ ولكن هل العامة حقيقة موضع القنوط ؟

إن الديموقراطية الاسلامية لم تنشأ من تعدد الفرص الاقتصادية ، بل هى مبدأ روحانى مبناه الاعتراف بأن كل إنسان مركز للقوى الخفية التى يمكن أن تكشف إمكاناتها بتربية طراز خاص من الأخلاق والسجايا . وبناء على ذلك فالاسلام قد خلق من عامة الناس المثل العليا من الحياة والقوة . أو ليست إذن الديموقراطية الاسلامية فى القرون الأولى دحض عملى لأفكار نيتشه ؟ ! »

# الذكر

## للأستاذ فخري أبو السعود

صوتٌ مِنَ الأمسِ ما أنفكُّ أسمعُهُ ... مُرَدَّدُ اللحن في بالي مُرَجَّعُهُ
لحنٌ شجيٌّ لطيف الوقع ساحرُهُ ... يَدُ الليالي على قلبي تُوَقِّعه
إذا تَرَدَّدَ منه في الضلوع صدًى ... ثارَ الحنينُ ونَدَّى الجفنَ مدمعه
نهرٌ يَظَلُّ بنفس المرء مُنْسَرِباً ... وفي مجاهل ماضي العيش منبعه
طيفٌ مدى العمرِ مِن ماضيَّ يتبعني ... وَدِدْتُ لو أنني ما شاء أتْبَعُهُ
مَنْ أنتَ يامَنْ مِنَ الماضي يخاطبني ... وَمِنْ قرارةِ نفسي بثَّ أسمعه ؟
تَظَلُّ تُحيي التي قدماتَ من عُمُري ... وما تَشَتَّتَ مِنْ ماضيَّ تَجْمَعُهُ
نعَمْ وَتَحْكِي لقلبي من مآربه ... ما كان يَنْشُدُهُ قِدْماً ويُزْمِعُهُ
حديثُكَ العذبُ مهما طال يؤنسه ... وبالزمان الذي قد مرَّ يولعه
يا رُبَّ عهدٍ غضيرِ الحُسنِ رائقِه ... قد راح وهْوَ حثيثُ الخطوِ مسرعه
مرتْ عليه بنانٌ منك ساحرةٌ ... فهاج بي الشَّوقَ مغناه ومربعه
وهام قلبي على آثارِهِ لهجًا ... يَوَدُّ لو أنَّ هذا الدهرَ يُرْجِعُهُ
وَرُبَّ وادٍ بنفسي مُزْهِرٍ نَضِرٍ ... صَوَّرْتَهُ فَهْوَ حالِي النبت مُمرعه
ومنظرٍ مِنْ طيُوفٍ أنتَ رَاسِمُهُ ... ومِنْ حنينٍ خَفِيٍّ أنتَ مُبْدِعه
وصورةٍ لِذُكاه وهْيَ غاربةٌ ... هنا لها الكونُ إذْ هَمَّتْ تُوَدِّعه
ومَشْرِقٍ حَيَّتِ الأرواحَ غُرَّتُهُ ... ونبّه الطيرَ والأزهارَ مطلعه
هذا ادِّكارِيَ : ملْءُ القلبِ من صُوَرٍ ... مِنَ الطبيعةِ تَشْجُوهُ وتُمتِعه
وسالفاتِ عهودي في مباهجها ... يُظِلُّني ثَمَّ نَادِي الزهرِ مُونِعُهُ
حُسْنُ الطبيعةِ إلْفٌ في الفؤادِ له ... عهدٌ بِقَلْبِيَ باقٍ لا أُضَيِّعُهُ
وليس بالقلب ذِكْرٌ مِنْ أخي ثقةٍ ... يبقى بقلبي مَدَى الأيامِ موضعُهُ
فَكُلُّ ثوبٍ وِدَادٍ كنتُ ألْبَسُهُ ... رَثٌّ وَهْوَ جديدٌ ثُمَّ أخلعُهُ
فكيف أهفو إلى رَثٍّ ومُنْخَرِقٍ ... من العهودِ وبَالٍ لستُ أرقعُهُ ؟
مَنْ رام صافيَ وُدٍّ غيرِ ذي كدرٍ ... ففي الطبيعةِ للوُرَّادِ مَشْرَعَةٌ
أليفُهَا حيثما راقتْهُ صُحبتُها ... تُمَتِّعُ النفسَ وراوي الطرفِ مُترعه
أصفَى الوداد وُرُوداً ثُمَّ أدْوَمُهُ ... عهداً وأعْذَبُهُ ذِكْراً وأنْقَعُهُ

**فخري أبو السعود**

# بين الهدى والهوى

## للشاعر الحضرمي علي أحمد باكثير

في طلوع الفجر الوليد على الكو ... ن ، وإيذان ليله بالهروب
وهبوب الأنفاس من رُدُنِ الصبـ ... ـح برَوْحٍ يحيي النفوس وطيب
رنَّ في مسمع السكون أذانٌ ... قُدُسِيّ الترجيع والتثويب[1]
سال – حتى عم الفضاء – حَنَاناً ... ذائباً في شعاعه المسكوب !
خالقاً عالَماً من النور والفتـ ... ـنة والسحر والجمال القريب
رَعَشَاتٌ من الغناء السماويّ (م) تَخطَّى الأسماعَ نحو القلوب !
إنما الدين الحقّ فنٌّ طهور ... قد سما في معناه والأسلوب !

* * *

وقف (الشاعر) التقيّ يصلّي ... في خشوع لذي الجلال المهيب
فرحاً قلبه يطير استناناً ... في مجال من الأماني رحيب
مطمئناً لو أنه احترق الكو ... نُ جميعاً ما مسه بلهيب !
عامراً بالهدى يكاد يرى الله (م) بعينيه فهو جدّ قريب
ربِّ ! لِمْ لا تراك عيني ؟ ألا تبـ ... ـدو لعينَيْ عبدٍ إليك منيب
كَلِفٍ بالجمال يصبو إلى المنـ ... ـبع بعد الأنبوب فالأنبوب !
قاطِرٍ على الحجاب تشهدُ جفوني ... لمحةً من جمالك المحبوب

* * *

مرَّ في سمعه حَفيفٌ لِسَهمٍ ... ناشبٍ في فؤاده المنكوب
ما وعى السمعُ أو درى القلبُ إلاّ ... بعد حين من وقعه والنشوب
مَنْ رماه ؟ وأيَّ نصلٍ وعن أيـ (م) ـةِ قوسٍ رمى ؟ وفي أيّ حُوبٍ ؟[2]
ولوى الجيدَ يَسْرةً فإذا هو ... بمثال من الجمال النجيب[3]

(١) أن يقول المؤذن في أذان الفجر : الصلاة خير من النوم
(٢) ذنب (٣) الخالص

قمر طالع عليـــه من الشّر ... فة يرنو إليـــه كالمذهوب
لفتَتْهُ الصلاةُ نحو المصلّى ... فادّراهُ بكل سهم مصيب
ربِّ ! ماذا أرى ؟ ألمحة نور ... منك، أم وهْم ناظرٍ مكذوب ؟
أم ملاكاً بعثته بقبولى ... ونجاح المؤمّل المطـلوب
ربِّ ! قلبى صبا إليه ! كأنْ لم ... أكُ فى موقف الصلاة الرهيب
أين وَلّى اطمئنان نفسى ؟ ومَنْ لى ... بخشوعى إليك والترحيب ؟ (١)
ربِّ ! حل الهوى محـل الهدى فى الـ
قلب، ويلاه ! ربِّ عافِ الذى بى !
وانتهى من صلاته وهو يهذى ... بضلالات شعره والنسيب :

* * *

« ألهمينى وحى الجمال ! فعهدى ... بشهود الجمال غير قريب
إن تكن نظرتى لوجهك ذنباً ... فالتياعى كفّارة لذنوبى
وابعثى لى – لتدفئ بُرْدَانِى – ... وقدةً من ذراعك المشبوب !
واصْبحينى من خمر عينيك كأساً ... تنفِ عنى متاعبى ولُغوبى
وابسمى لى – والابتسام يسير – ... تبتسمْ لى الحياةُ بعد قطوب »

* * *

« هى لغز يحـلو التأمل فيه ... لحكيم وشاعر وأديب
هى فى لِبْسة التفضل حُسْنٌ ... من يد الله، ليس بالمجلوب
يا لَها حلوةً عليها من النو ... م بقايا تثاؤب محبوب ! !
وبأهدابها خيوط ضياء ... علقت من أحلام ليل عجيب !
مُرسَلاً شَعرُها على غير ترتيـ ... ب ولكن أحلى من الترتيب !
خطَّ فى خدها الوسادُ سطوراً ... آيةً من بدائع التذهيب !
وأذاع النسيم عنها بلاغاً ... أفعم الجو من أريج وطيب
إن طيباً فى الحقّ ليس كطيب ... مرسَل من غلائل وجيوب
بكرت تنضح الشجيرات بالما ... ء فينعمْنَ بالبنان الخضيب
وفؤادى أحق بالرىّ منهن (م) ... فهـلاَّ تمدّه بذَنوب !
وقفت وقفة الدلال أمامى ... تتلهّى فى كفها بقضيب !
أرسلت كهرباءها فتمشت ... فى عروقى بهـزة ولهيب
فكأنا (قُطْبا عمودٍ) ترى التيـ ... يار فيه من جيئة وذهوب
( بين جهدى وجهدها أبداً فر ... قٌ) فما إنْ تكفّ عن تعذيبى

(١) التعظيم

أيها (السالب) الجميل حنانيـ ... ك ترفق بمهجة المسلوب »

* * *

واستهل الصبح الجديد على الكو ... ن مُلَقّى بالبشر والترحيب
وأتى (الشاعر) الصلاةَ بقلب ... شاعر بالملام والتثريب
مستنيب إلى الإله يُرَجّى ... عفوه عن ضلاله والحوب
فدوى فى أعماقه رَجْعُ صوت ... كصدى الرعد أو دوىّ النُّوب (١)
كيف يقوى على سنا (الربّ) قلـ ... ـب جُنّ لما رأى سنا (المربوب) ؟
والكمالات لا تناهى لدى الله ... ه فلابد من بقاء العيوب

علي أحمد باكثير

(١) النحل

# القـــرية

## للأستاذ بشاره الخورى

أيتها الفتاة الصـــغيره ... أنت بتاج مَلك جديره
من القرى اشتقوا لك اسم القريه ... وعطّل السفحُ فكنت الحليه
شاعرك البلبل ذو الالهام ... وعُودك الجدول ذو الأنغام
والغيمة البيضاء مثل القبـــه ... كأنها من الحرير جبه
تضم أعناق الربى وتلثمُ ... فليس إلا شَـفةٌ ومبسم
كم طربت شمس لهذا المشهدِ ... فسحت جبهتـــه بالعسجد
حتى إذا الليـــل سجا ومدا ... على الورى جناحه المسودّا
مشى إليه البدر مشىَ الصائدِ ... يهتبل الغفـلة من مطارد
حتى رمى بخردق النجوم ... صدر الدجى فسِلن كالكلوم
مآتم لكنها أعراس ... يدار عندها الهوى والكاس
توحى بها القرية فى رأس الجبل ... وأروح العيش خيال وأمل
وساعِدٍ عنـد الضحى مفتولُ ... تغمره بالقبـــل الحقول
أسمر ممـا لذعته الشمس ... فى كفه لكل جسم نفس
يقوم فى الأرض مقام الخالق ... فيغـدق الرزق على الخلائق
هـذا الذى يحاولون قتـله ... والعـدل يقضى أن يموتوا قبله

بشاره الخورى

# بين ناقد وشاعر

علم قراء الرسالة من عدد مضى أن الأديب حبيب الزحلاوى اتهم الدكتور الشاعر ابراهيم ناجى بأنه استعان فى قصيدته ( عاصفة روح ) بقصيدة الشاعر الدمشقى ميشيل عفلق ( عاصفة ) ، وقد دفع الدكتور ناجى ذلك الاتهام ، وتحدى متهمه أن ينشر القصيدتين فى الرسالة . وأمس أرسل إلينا الناقد نص القصيدتين ومعهما نقد لاذع ، واليوم بعث إلينا الشاعر بنصهما أيضاً ومعهما تعليق ساخر ، فآثرنا أن نطوى النقد والتعليق لخروجهما عن خطة الرسالة ، واكتفينا بنشر القصيدتين ، ليحكم القراء بين الرجلين

---

## عاصفة روح

للدكتور ابراهيم ناجى

أين شطُّ الرجاء يا عُباب الهموم
ليلتى أنواء ونهارى غيوم

اعولى يا جراح أسمعى الديان
لا يهم الرياح زورق غضبان

البلى والثقوب فى صميم الشراع
والضنى والشحوب وخيال الوداع

فى احتدام النار واصطخاب الأنين
تضحك الأقدار ترقص السكين

كل يوم يروح فى احمرار الجروح
كل صبح يلوح فجره مذبوح

اسخرى يا حياه قهقهى بالرعود
الصِّبَى لن أراه والهوى لن يعود

الأمانى غرور فى لظى البركان
الدجى مخمور والرك ، سكران

وخليع العباب موجه العربيد
دار بالأكواب ويل هذا العيد

راحت الأيام بابتسام الثغور
وتقضى الظلام فى عناق الصخور

كان رؤيا منام كأسك المسحور
يا ضفاف السلام تحت عرش النور

اطحنى يا سنين مزقى يا حراب
كل برق يبين ومضه كذاب

اسخرى يا حياه قهقهى يا غيوب
الصِّبَى لن أراه والهوى لن يؤوب

---

## عاصفة !

لميشيل عفلق

اعصفى يا رياح ! واهزئى بالسماء
من يكن ذا جناح هل يهاب الفضاء ؟

عبس الغاب وادلهم ، فما يد سم إلا عن الرعود البوارق
فمشى السر موغلاً فى ثنايا هُ مصوناً من الدجى بفيالق
وتداعت جهم الغيوم ثقهلا ت حبالى بشائبات الصواعق
ذعرت فى الفلاة آمنة الوحـ ش فراحت تمشى كمشية سارق
وسرى الماء لائذاً بحمى الظل (م) ملماً يبعضه متعانق

أمعنت فى الفناء قاصفات الرعود
ذاك ضحك القضاء من قيود العبيد . .

اعصفى اعصفى أيا ريح حتى تُرقصى من دويّك الأجيالا
واضحكى كم يثير ضحكك عند الـ ـحشرات النواح والأعوالا
أوصدت وكرها الثعالب حسرى لابسات من ضعفها أغلالا
وانبرى الليث ناعم البال يمشى حاشداً تحت نابه الآجالا
ودعاك النسر احمليني أيا ريـ ح إلى حيث لا جناح تعالى !

اغسلى يا سيول زائف الأصباغ
السما كالطبول زمرت بالفراغ

يا سيول افتحى لنفسى مجرى أنا نهر حيران لم يلق بحرا

**فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية**

# ٢٣ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

### الناحية السلبية من مذهب نيتشه

## الانسان

### للأستاذ خليل هنداوى

---

الرجل ذو الضمير الفاسد يحس فى نفسه حاجة مريضة للتألم ، وهو لا يشعر بأن هذه الحاجة تبعثها علة حقيقية هى وليدة هذا الضغط القاسى على إرادة قوته ، وإنما يدرك فقط أنه متعاقد مع الألوهية على دين لا يمكن أداؤه . ومن الحق أن يبدو له أن هذا الدين شديد تهون فى سبيله الآلام . فهو يحتمل الشقاء ليُهدئ غيظ دائنه العنيف ، وليكفر عن خطيئته . وها هو ذا الآن يلتمس العذاب يتذوقه ألواناً ليفى بدين يزعم أن لا نهاية له . يحمل الألم ولا غاية له إلا الألم ليطفئ فى نفسه رغبة التكفير عن ذنبه . وهيهات أن تشبع هذه الرغبة أو تطفأ !

فكرة الخطيئة بعثت مرة ثانية ، وأصبحت الآلة التي يتوعد بها الكاهن ، وبها يُسيطر على الأرواح ، وبها انقادت له جموع الأشقياء ووضع يده على النماذج المتألمة التى أبصرها فى الطريق . مضى قدُماً الى أولئك المنحطين العاملين بشقاء يجهلون علته ، يتحرون عن العلة أو الواحد المسئول عن انحطاطهم الغارقين فيـه . فيوحى الى هؤلاء بأنهم هم أنفسهم كانوا سبب شقائهم الحقيق ، وأنهم ينبغى لهم أن ينظروا الى هذه الآلام كتضحية صغيرة عن خطيئاتهم التى اجترحوها ، فليتقبلوها — بطرب — كامتحان أراده الله ، فآمنوا به وقبلوا بهذا الحل منه ، وتلقّحوا رضاً بهذه الفكرة المسممة عن الايمان بالخطيئة . وفى أوروبا اليوم مذهب يضم هؤلاء الخاطئين التوابين الذين يعشون بأجساد مريضة وأعصاب ساكنة ونفوس ذاهلة ، فرائس لليأس والهذيان . جوعهم دائم للعذاب ، تستولى عليهم فكرة الخطيئة والهلاك الأبدى

وفى النهاية يجد نيتشه أن التعاليم المسيحية كديانة وكمثل أعلى ، لا تقود إلا إلى العدمية « nihilisme » . يجد أنها خلقت عالماً مفعماً بالأوهام المجردة ، وتخيلت عللاً خيالية وأعمالاً خيالية ، وروابط بين الأكوان خيالية . أسست علماً طبيعياً وهمياً مؤسساً على انكار الأسباب الطبيعية والعلاقات الطبيعية بين الأشياء ، وأسست علم نفس خيالى يرتكز على تفسير خاطىء للحوادث الطبيعية وعلى فلسفة خيالية ، وبينما كان الرجل المسيحى دائباً فى بناء وجود خيالى كان يهدم الوجود الحقيق ، يقاوم الطبيعة « أصل كل بلاء » فى سبيل الآلـه « أصل كل خير وهناء » ، فولدت الأوهام المسيحية من بغض الحقيقة ، فهى نتيجة انسانية منحطة ، تربو فيها كمية الشقاء على كمية الفرح ، انسانية تعبة سائمة ، متألمة ، تميل إلى التشاؤم وعدم الحياة ، ولا تجد راحتها إلا فى أحضان العدم

— ٤ —

إن عمل التاريخ الأوروبى هو ظفر شريعة العبيد على شريعة الأسياد ، لأنه قبل تلك الشريعة وعمل على اعتناقها وكفر بهذه الشريعة . . . وإنها لمعركة لاتزال مشبوبة محتدمة عشرين قرناً بين « روما » وارثة الحضارة اليونانية ومثلها الأعلى الأرستقراطى ،

---

تهت عن غايتى ولكن تيهى ... ينبت الخصب كلما حلّ قفرا
أنا برق فى قوتى والتهابى ... فى وميض أحيا وأدفن عمرا
أنا ليل يغنى اشتعالاً وحباً ... لتوشى دماؤه الحر فجرا
أنا زهر أطارت الريح أورا ... ق فأفعمت واسع الجو عطرا
أعطشتنى الرغاب ... فشربت النجوم
وحدانى الشباب ... فامتطيت الغيوم
من ذرى هذه السحائب ارى ... فوق هام الورى رفيع ازدرائى
قدما فى السماء أركز جذلا ... ن وأخرى على جبين الفضاء
لم يعد لى فى الأرض منزل حرّ ... واسعٌ مطلبى وعالٍ إبائى
أحرقت بيتى الصواعق لكن ... غسلت لى قلبى بذوب الضياء
مزقت ثوبىَ الرياح ولكن ... نسجت من دم الشموس ردائى
إعصفى يا رياح ! ... واهزئى بالسماء
من يكن ذا جناح ... هل يهاب الفضاء

الذى هو أقوى مثل وأسمى مثل تحت الشمس ، واليهودية موطن البغض ومنزل الروح «الكهنوتى» ، انتصرت اليهودية والنهضة الحديثة التى شبت فى أوروبا قامت فى وجهها عثرات وعقبات ، كثورة «لوثر» والبروتستانت ، وكثورة الباستيل فى فرنسا ، وانهزام نابليون ، هذه نائبات تتالت فحالت بين بلوغ النهضة غايتها ، فآلت إلى انتصار شريعة العبيد ، فأوروبا الآن غارقة فى انحطاط عميق ، يقضى على ما تبقى فى عروقها من حياة ، حتى ليخشى أن يتقهقر النوع الانسانى إلى الوراء ، فلا يورث بعد اليوم إلا صوراً من الخزى والعار

هذه هى شريعة العبيد التى تسيطر على العالم تحت اسم « ديانة الألم الانسانى » ، فلنفصل الآن هذه الديانة وماتنطوى عليه

إن تحليلنا لعاطفة الشفقة التى يتبجح بها اليوم معلمو الجيل الحاضر يثبت لنا أن هذه العاطفة ليست من العدل والجمال على المثال الذى يرون . إن عاطفة الشفقة — فى الحقيقة — يتولد منها سرور أنانى . إذ نحن نصنع مع الآخرين الخير كما نصنع الشر . غايتنا من ذلك أن نظهر شعورنا بقوتنا ، ونخضعهم لسلطتنا . أما الرجل القوى الشريف فهو يفتش عن كفء له ليبادله النضال ويحنى هامته بأزاء قوته ، وتراه يحتقر الفريسة الذليلة السهل انقيادها ، وتراه ينحرف عن الخصوم الذين لا يجد فيهم أكفاءه وأمثاله . أما الضعيف فهو يميل إلى الظفر السهل ، والفريسة الخائنة ، وهل كان ضعيف أو شقى يوماً نبيلاً ؟ وإن الانسان بطبيعته وإرادته يجنح إلى إحسان لا إلى شقاء

إن الشفقة هى فضيلة الأنفس المتوسطة ، تتدرب عليها دون وازع ولا مانع ، حتى إذا نزلت هذه الشفقة ساحة النبيل أصبحت علامة الانحطاط ، وذهاب الكرامة ، وخساسة الأصل . إن النبيل يكتم آلامه وهمومه ولا يبوح بها . يصرف عن نفسه الارادة الحسنة كما يصرف الارادة السيئة ، والانسان المتألم القبيح قد يكون على حق فى كرهه للشهود الذين يبوحون بسر فاقته وقبحه وتعاسته . هؤلاء الشهود الذين لا يستحون من أن ينظروا إلى ما كان ينبغى له أن يظل خفياً عن العيون ، فيحملون هذا الشقى منة شفقة ما طلبها وما تمناها

إن الشفقة ليست بعاطفة مفيدة فحسب ، بل هى عاطفة منحطة أيضاً . لنتصور أن ديانة الألم قد انتشرت بين الناس فما هى النتيجة ؟ إن كمية الألم تزيد بدلاً من أن تنقص ، ويصبح الانسان مجبراً على حمل آلامه الخاصة وجزء من آلام الغير ، حملاً على حمل ، وبهذا تضعف الشفقة من حيوية الحياة ، وتجعل من الألم داء سارياً . ناهيك بأن ديانة الشفقة تضادّ المذهب الطبيعى السائد حكمه فى الأحياء ، وهو بقاء الأصلح والأنسب الذى يقضى بفناء الكائنات التى لا يصلح تركيبها للحياة ، وقد أتاها حظ بخروجها ظافرة من معركة الحياة ، وكل ديانة ترمى إلى الشفقة هى ديانة تعمل على وقاية العناصر المنحطة ، وعملها هذا هو ما يسوق إليها الفوز فى كل جيل ، لأن الضعفاء والمرضى هم فى الحقيقة الفريق الغالب ، بينما أن الانسان الخالص الصافى من كل شائبة هو نادرة من نوادر الوجود ؛ وقد ثبت فى كل الأنواع الحية العالية أن الأغلبية فيها هى كائنات منحطة التركيب ، سيئة الخلق ، مستسلمة للألم ، والانسان لا استثناء له من هذا الحكم . والانسان — بالنظر إلى الحيوانات — هو سلالة عالية راقية ، قابلة للتطور ، وهو لما يبلغ آخر مرحلة من مراحل التطور فى الكمال ، وهو لما يزل عرضة للحوادث التى تؤثر فيه وتبدل منه . كما أن معدل الانحطاط فى النوع الانسانى هو أبرز وأكثر منه فى سائر الأنواع . وديانة الشفقة تغدو عاملاً كبيراً فى الابقاء على فريق كبير من الأحياء لا فائدة منه ، لأن انتخاب النوع لا يرى غاية له إلا الفناء . هى تحفظ مظاهر الفاقة والبؤس . فتجعل الوجود أكثر قبحاً ، والحياة أكثر ميلاً إلى العدم . إن هذه الديانة هى جزء من العدمية . إنها مهددة للوجود وللنماذج العليا من إنسان الوجود . فإن مرأى البؤس والألم والانحطاط والقبح يدعو الرائى إلى رجاء العدم ، إما بعامل اليأس من هذا المرأى أو بعامل الشفقة ، حتى ليغدو مذهب الشفقة مرضاً شديداً يقضى على طبيعة كريمة ، ويقتل منها قوة نضالها ودفاعها ، هذا المرض الدائب على تذليل القوة الأوروبية ، وتقييد اصطفاء الأنواع السامية ، والحيلولة بين الانسان والسوبرمان

( يتبع ) خليل هنداوى




صور من هوميروس

# ٨ - حروب طروادة

## من السماء . . .

للأستاذ دريني خشبة

قضى بروتسيلوس نحبه ، وعادت روحه الكريمة إلى هيدز مصطحبة روح زوجته البارة ، وغرست عرائس الفنون فسائل الدردار فوق قبر الراحلين فنمت وترعرعت ، ونعم بفيئها الوارف ماء الهيلسبنت (١) ورتعت في ظلها أترابه . . .

ولكن . . . !

لقد كانت روح بروتسيلوس الجذوة التي أججت نيران الحرب فجعلتها ضراماً ! ! فانه ما كاد يرمى بالسهام فيصمى ، فيسيل دمه أنهاراً ، حتى تدفقت جيوش الهيلانيين على الشاطىء الأسيوى ، غير مبالين بالموت الأحمر الذى كانت تمطرهم به سهام الطرواديين ، والمنية السوداء التي كانت تقطر من سيوفهم ، فتحصد صفوف الغازين حصداً . لا . لم يبال الهيلانيون بهذا الهول الأكبر ، بل انقضوا على الشاطىء شكاكاً في سلاحهم ، مقنّعين في دروعهم ، مرهفين سيوفهم ، تفيض عليهم عدة الحرب كأنهم جِنّة ترقص في زوبعة ، أو ظلال من الذعر تجول في معمعة

وتبعهم قادتهم العظماء فانطلقوا يبوئونهم مواقف للقتال ، ويلقون عليهم من كلمات الحماسة وخطب الاستبسال ، ما أضرموا به جوانحهم شوقاً إلى خوض الكريهة ، وحنيناً إلى اقتحام الوغى ، وصبوة إلى تقبيل الرقاق البيض

ودقت الطبول فكانت إيذاناً بهجوم الهيلانيين

فانظر الآن إلى البحر يلتطم بالبحر ، والموج يساور الموج ، والموت يصاول الموت ، والحياة الحلوة تأخذ بتلابيب الحياة الحلوة ، وصيحات الهيلانيين تردها صيحات الطرواديين ؛ وليل الآخرة يغطش نهار الدنيا ، وظلام القبور يكشر لهذه الدور ، والفزع يمشى في صفوف هؤلاء وهؤلاء ، واليتم يجرح هذا الكبد ، ويقرح ذلك القلب ، والحزن يفيض على هذا السهل ، ويجوب ذاك الوادى ، ويرف على قلل تلك الجبال ، وأنين الجرحى يطن في فضاء الساحة الحمراء ، فيملأ الآذان بالهلع ، والنفوس بالجزع ، والدماء تتفجر هنا ، وتتحدّر هناك ، والرؤوس منتثرة فوق الأديم المضرّج ، زائغة أبصارها ، مفغورة أفواهها ، معفرة بالتراب أنوفها التي عزت على العالمين . . .

ثم انظر إلى أخيل يرعد بين الصفوف ويقصف ، ومن ورائه الميرميدون يوزعون المنايا ويهدهدون الحتوف ويقرّبون الآجال !

وأوليسيز الغوار وتلك المجاجة المتقلة فوق رأسه من خبار الحرب ، وهذه الصّعدة السمراء بيمينه تنفث الموت في صدور الأعداء !

وأجاكس وجنوده ؛ الكرّار الفرّار ، الذاويد الأحرار !

وبنليوس ؛ قائد العساكر البّوُوطية ، القروم البواسل ، والليوث الكواسر !

وديوميد ؛ نبعة أرومته ، وسيد عشيرته ، ووجه قومه ، وفارس كتيبته !

وأجابينور ؛ فتى أركاديا ، وملاك أمرها ، وشمس ضحاها !

وميجيز ؛ النجد الباسل ، والبطل الحلاحل !

وإيدومينيز ؛ ملك كريد وقائد جنودها ؛ أباة الذل ، وكماة الوغى ، ومرادى الحروب !

وتليبوليموس بن هرقل بطل المجازفات ، المقدام أخو

(١) هو بوغاز الدردنيل ، وبالقرب من مأخذه الجنوبى ، على شاطىء اسيا توجد طروادة

الثمرات ![1] ثم انظر إلى الصيد الصناديد من أبناء طروادة ، وجيرانهم الكماة الأباة الحماة !

هاك هكتور العظيم بن بريام الملك ، عضد طروادة وسندها وليث عرينها ؛ الثبت الصابر الصابر ؛ رابط الجأش شديد البطش ؛ قوى الشكيمة الفارس المقدام !

هاك هكتور الأسد ، رغى فى أسود الشرى وزبد ، ويوقل فى بطاح طروادة وينجد !

وهاك إينياس الهائل ، يقود (الدَّردان) الأبطال إلى كرائم الفعال فى ساحة القتال !

وهاك بنداروس ! تلميذ أبوللو وربيبه ، يقود فرسانه الفحول ورجاله البهاليل !

وهاهما ولدا ميروبس الكبير ملك أبيسوس ، يصولان فى الحومة ويجولان !

وهاك آسيوس بن ملك أبيدوس ، يتقدم رعيل فرسانه ، ويداعب أعداءه بخُرَّانه !

وهاهم أشبال ترافية ، يقودهم بوفيموس المقدام ، ويقتحم بهم أيما اقتحام !

وهاهم نسور أميدون البواشق ؛ أقبلوا من هناك . . . من جنات سيحون وجيحون ليخوضوا الجحيم ، فى ذلك اليوم العظيم ، وليذودوا عن طروادة ، حليفتهم ؛ ويدفعوا . . . !

وهاهم أمراء ميديا ، أقبلوا فى عدة وعديد ، وكل جبار مريد !

أنظر إذن إلى الجيشين فى مد وجزر ، تبسم لأحدهما الآمال ، وتعبس للآخر المنايا ؛ ثم تدور الدائرة ، فيقلد النهزم ، ويتأخر التقدم ، وهكذا دواليك

وتغيب الشمس وتشرق . . . . .

ويبزغ القمر . . . ويغرب

وتكر الأيام ، وتمر السنون !

وكلما لاحت للطرواديين غفلة من أعدائهم خرجوا اليهم وهم ألوف فنالوا منهم ، حتى إذا كرُّوا عليهم عادوا إلى معاقلهم فلاذوا بحصونها ، واعتصموا بأبراجها ، وتلبثوا هناك حتى تتاح لهم فرصة أخرى

* * *

أعوام تسعة ! !

مليئة بالتعب ، مشحونة بالنصب ، مفعمة بالخطوب والأهوال

وكان الهيلانيون يرسلون البعوث والسرايا ، فتجوب الريف وتئوب بالغنائم والفىء ، والأسلاب والسَّبى ، فيقتسمها القادة ، ويفيضون منها على الجند

وهاجموا مرة إحدى القرى ، فكان من جملة السبى فتاتان ذواتا رقة وفتون . أما إحداهما فكانت من نصيب أجاممنون ، واسمها خريسيز ، وهى ابنة كاهن القرية الورع ، حبيب أبوللو وخليله وصفيه ، القديس خريسز . وكانت فتاة لعوباً حلوة الدل رشيقة الروح ، وكان أبوها يحبها حباً جماً لا تعدل بعضه كل مباهج الحياة ! !

أما الأخرى فقد خلصت لأخيل وأخلصت له الود ، وساقاها هو المحبة ، فكان أحدهما للآخر فى هذه المحنة القاسية الصدر الحنون ، والقلب النجىّ ، والملاذ الأمين . اسمها بريسيز ، وأبوها شريف من أشراف هذه الناحية التى نكبت بتلك الحرب الضروس ، فَصَلِيَتْ لظاها ، وطحنتها رحاها

وعلم كاهن القرية بما كان من أمر ابنته ، فازدحمت على قلبه هموم الحياة ، وأحس فى أعماقه بثقل البلية ، وشعر كأنه جُرِّد من كل شيء حتى من نفسه

وبدا له أن يذهب إلى قائد الجند الهيلانى فيفتدى خريسيز ، ولو نزل لأجاممنون عن كل ما علك . وحذره صحبه من المخاطرة بنفسه فى هذا الطريق الشائك ، ولكنه لم يرمهم التفاتة واحدة ؛ بل دهن نفسه بالطيب الكهنوتى المقدس ، ولبس مُسُوحه ، وعقد زناره ، وتناول مِسْبَحةَ أبوللو العظيم ، ثم توكأ على عصاه المتيدة ، وذهب يتهالك على نفسه ، ويتعثر فى خطاه ، حتى كان تلقاء المعسكر الضخم

وسأل عن خيمة القائد العام ، فقيل له إنها هى الفسطاط الأكبر الذى تبدو قبته هناك .... هناك عند شاطئ الهلسبنت ، بين الجيش وبين الأسطول

وانطلق الكاهن الجليل والدمع ينحدر من قلبه قطرات من الدم ... عن طريق عينيه ، فيعلق بلحيته البيضاء ، فيصبغها بأرجوانه ، كأنه آية السماء الباكية ، نذيراً لهذه القلوب القاسية ، والنزاة الأقوياء ! !

[1] ذكر هوميروس رؤساء العشائر اليونانية التى اشتركت فى هذه الحرب فى الكتاب الثانى من الالياذة ونحن نكتفى بذكر من أوردنا

وبلغ الفسطاط بعد لأى ...

واستأذن على القائد العام فلم يؤذن له .... فاستأذن ثانيةً فهُدد بالضرب وبالعقوبة ! ... ولـكنه أب مفئود ، وحزين منكود ، فتنظّر قليلاً واستأذن فى أدب ولين واستكانة ، فأذن له ....

ووقفَ أمام القائد الأكبر واهيَ الجسم موهونَ القلب ، حزوناً متصدعاً ، وحاول الـكلام فكانت العبرات تخنقه ، والأسى يعقد لسانه ، والنار المندلعة فى رأسه تنسيه كل شيء

وثار به أجاممنون !

لأنه على ما يبدو فوّت عليه لذةً طارئة ، وسكرةً موانية ، عجيبة فى تلك اللحظة الهانئة القريرة ، وإلحافه الشديد بضرورة لقاء القائد ....

واحتشد القادة ورؤساء الجند حول فسطاط القائد ، وسمعوا إلى الـكاهن الـكبير يقول :

« مولاى !

سعيت اليك عائذاً بك ، داعياً أبوللو العظيم لك ، أن يفيء عليكم من النصر والفتح المبين ، وأن يهبكم من الرعاية واللين ما تشتهى أنفسكم ، وتقر به أعينكم ، وما ترتفعون به عن ظلم الضعفاء ، والجور على الملهوفين ، فقد يغنى القليل الذى ترضى عنه الآلهة ، عن الـكثير الذى يثير سخطها ، ويستنزل غضبها ..

إبنتى يا مولاى !

خريسيز العزيزة ! ردها علىّ يباركْ لك أبوللو ، ويُنِرْ لك سبيلك ، ببركة دعوات قديسه الحزين الواقف أمامك ، المبتهل اليك ، المستعد لأن يفتديها بكل ما علك ، وبكل ما يقدر عليه مما يرضى الملك ! »

لـكن الملك أشاح بوجهه ، وكبر عليه أن يجرؤ هذا الـكاهن على التفوه بهذه الطلبة العزيزة أمامه ! خريسيز ! أينزل أجاممنون عن خريسيز وقد احتلت من قلبه مكانة زوجه كليتمنسترا ؟! واستحوذت على لبه حتى نسى الحرب ، وعزف عن الطعن والضرب ، واستقر معها فى فسطاطه آخذين فى لهو وحب ، وغناء وشرب !!

أينزل أجاممنون عن خريسيز الجميلة الفاتنة ، ولو استحالت عينا الـكاهن بئرين تنزفان الدمع ، وتفيضان بالدم ؟

كلا ! لن ينزل أجاممنون عن خريسيز !

« إصغ يا رجل ! ليس بى أن تكون قديس أبوللو ، وحامل صولجانه ، وحاى مسبحته ، وعاقد زنّاره !

ستعود خريسيز معى ... إلى آرجوس ... وسيذوى جمالها هناك ، وتذبل محاسنها بين ذراعى ، وسأكل إليها منزلى تخدم فيه ، وتصير أم بنين ، وسيكون بها قصرى جنة خلد ونعياً لا يفنى ... اذهب ، فاسفح دموعك فى صومعة أبوللو ، وصعّد زفراتك فى هيكله ، وبين يدى صنمه ... اذهب ، وانج بنفسك من عذاب أليم ...

خريسيز تعود معك ؟!

إنك تثير النقمة فى نفسى ، فانج بنفسك ... انج ... »

وتصدّع صدر الرجل ، وكاد قلبه يقف ، فتقف أنفاسه !!

واتشى والدنيا المظلمة تحجب ناظريه ، وكلمات القائد الظالم تَردّدُ فى مسمعيه ، فما كاد يبلغ قريته حتى خلا إلى أبوللو ، وجلس يبكى ... ويصلى !!

« أبوللو !!

يا إلـهى !! أسمعت ؟ لقد استهزأ بك أجاممنون ، وفجعنى فى بنتى ، وفلذة كبدى ، وقطعة قلبى ، وحياة روحى !!

أبوللو !!

هل سمعت يا رب النور !؟ أرأيت إلى ذلك العـاتى المتجبر كيف ثار بقديسك الضعيف المسن الذى أحنت ظهره السنون فى عبادتك ، والصلاة لك ، والتسبيح من أجلك ، والهتاف باسمك . !؟

ألا فلتنتقم لعبـدك يا أبوللو العظيم ، وليحل على الطغاة غضبك ، ولتُسْحِتْهم بعذاب واصب ، ليس له من قدرتك من دافع ...

أبوللو ... !

استجب يا رب الهيكل الخالد ، وحاى المعبد الأمين !! .. »

وســقط الـكاهن أمام المذبح ينتحب ، والشموع الموقدة تذرى دموعها معه !

فثار فى عليائه أبوللو ... !

* * *

انتفض الآلـه العظيم انتفاضةً رجف من هولها الأولمب ، ورف فى السماء كأنه سحابة مظلمــة فى ليل بهيم ؛ وفوق كاهله

الكبير قوسه الفضية الرنان ، وعلى ظهره كنانته الواسعة الشاسعة ، يُسمع لسهامها صليل أى صليل ... وأشرف من سمائه المضطربة على سفائن الأسطول المطمئن ، وما هو إلا أن تميزها حتى عبس وبسر ، ووتّر قوسه فانهمرت منها سهام كالمطر ، صبّها على السفن حاملات الخيل والبغال أولاً ، ثم لوى فأصلى سفائن الجنود وابلاً منها بعد ذلك ... فلا تسمع إلا أنيناً وبكاءً، ولا ترى إلا صرعى يضجون ويُمشّولون ، ولا تحس إلا زفير جهنم وشهيقها يأخذ القوم من هنا وهنا فيقمون إلى أذقانهم سجداً وبُكِيـّا . . .

أمطر يا طاعون . . .

ولا حنانيك يا أبوللو . . .

***

واستمر هذا البلاء تسعة أيام طوال كأنها دهر بأكمله . . .

وفى اليوم العاشر أوحىَ إلى أخيل أن يدعو مجلس الجيش ليرى رأيه فى هذه النكبة التى دهمتهم بها ميازيب السماء . فلما التأم شمل القادة ، اجتمع الرأى على أن يذهب كالخاس فيستوحى أربابه لتكشف هذه الغمة ، أو ليرى بماذا ترضى من التضحيات والقرابين !

وعاد كالخاس ، كعادته كلما حمل أخبار الشؤم من لدن أربابه كاسف الوجه ، كالح الجبين ، يحبس فى صدره شجون الأرض ، وهموم السماء ! !

« خريسيز ياسادة ! »

« خريسيز تعود إلى أبيها القديس ، وإلا فتلك مقابركم جميعاً فوق هـذا الشاطئ المظلم ، المضرج بدمائكم ، ودماء أعدائكم . . . ! »

« هكذا تتفق كلمة الآلهة من أجل أبوللو ... فويلٌ لنا جميعاً إن لم نُهدِّئ ثورة صاحب القوس ، ورب النور ، وسيد الشمس . ! »

« اسجدوا لأبوللو ، واخشعوا . . . »

ونهض القوم من صلاتهم مشدوهين لا يحيرون ، ينظر بعضهم إلى بعض ، ولا تنفرج شفة بكلمة ، ولا يتحرك لسان بقول ! ولكن أخيل شعر فى صميمه أن القدر يُسخّره هذه المرة أيضاً لتفريج الأزمة ، وكشف البلاء ، فنهض غير هياب ، وأرسل قولة الحق فى غير وجل ، وصرّح بضرورة إرسال خريسيز إلى والدها القديس معززة مكرمة ، ثم تقديم القرابين من لحم العجول وشحم الأوعال إلى معبد أبوللو ، وإطعام الحاضر من شوائها والباد

وزلزلت الأرض زلزالها ، وهوت السماء فوق رأس أجاممنون!

ونشبت ملحمة هائلة بينه وبين أخيل ، أوشك البطل أن يغمد سيفه من جرائها فى صدر القائد العام ، الذى طلب بكل صفاقة أن ينزل له أخيل عن غادته بريسيز : « إذا كان لابد من نزول عن خريسيز ليسلم الجند من هذا الوباء !! وليكن غضب أبوللو ، وترضى السماء ! »

وتأججت نيران العداوة بينهما ، ذاك يحرص على فتاته الهيفاء وذاك يحض على إنقاذ الجنود بتضحية الذات وإنكارها فى سبيل ما هو أسمى وأرفع ، ولكن أجاممنون عمى عن هذا المثل العالى ، فتشبث وأصر إلا ما نزل له أخيل عن بريسيز ، لينزل هو عن خريسيز . ! !

وهنا تتنزل الآلهة لتحكم بين الخصمين !

تبدو مينرفا ، ربة الحكمة والموعظة الحسنة ، رسولاً من لدن حيرا ، سيدة ربات الأولمب ، للبطل أخيل ، بحيث لا يراها غيره ، فتعظه أن يضحى بفتاته ، ما دام هذا القظ يتأبى إلا أن يكون ذلك . . .

ويصدع أخيل بأمر السماء . . .

ويذهب أوليسيز بابنة القديس إلى أبيها حيث يلقاه فى معبده يبكى . . . ويصلى ! فيبشره بها ، ويسأله الصفح والمغفرة فيهش الكاهن ويبش ، وتنهمر من عينيه دموع الفرح

وتقدم القرابين باسم الجيش الميلانى إلى معبد أبوللو

فينكشف البلاء . . . . . . . وترضى السماء . . . ويُدفن الميلانيون موتاهم !

أما أخيل . . .

فينقطع عن المركة ، وينزل فى معسكره ، لا يشترك فى الحرب ، ولا يشترك فيها جنوده الميرميدون !

وتحس أمه بما ألم به من الحزن ، فتزوره ، وتمده خيراً على يد الآله الأكبر ، زوس ، سيد أرباب الأولمب !

( لها بقية ) دريني خشبة

من الأدب الأمريكي :

# قيصر

## للقصصي الأمريكي بول بورك Paul Burcke

تألق نجم مؤلف هذه القصة في العام المنصرم إذ تفوق بقصته « أخلاق » على جميع القصصيين الأمريكيين وأحرز من أجلها « جائزة أمريكا الأدبية لعام ١٩٣٤ »

---

بدأت المسألة بمعطف مطر . . .

وإذ خرج « قيصر سمث » في مساء يوم من أيام السبت المعهودة من جمعية رماية القرص التي يترأسها وسار على قدميه برغم المطر المدرار شاقا طريقه إلى منزله ، رأى في تسياره الآنسة « شيلا » منزوية في مدخل لاحد المنازل غير حاملة مظلة ولا متدثرة بمعطف ، وكانت تعمل جهدها للمحافظة على ثوبها الجديد من الماء الذي يتدفق منحدراً من سطح المنزل ...

وإلى اليوم لم يدرك قيصر ، وهو الرجل الخجول ، كيف تسنى له أن يبدأ بحديث مع سيدة غريبة عنه ، ولكن لعل فوزه في رماية القرص عصر ذلك اليوم أحيا فيه النشوة . والخلاصة أنه خلع معطفه وقدمه إلى تلك الآنسة ، وارتبك في القول

— « أنت هنا عرضة للتبلل بالماء ... ارتدي هذا المعطف »

ودهشت الآنسة من قوله ونظرت إليه في عجب وقالت :

— « ولكن كيف لي أن أقبل منك ذلك ؟ ... وأنت ؟ »

ولحظ قيصر أن لها عيوناً ناعسة ساحرة ، ولم يكن تبينها من قبل وقال لها :

— « لم يبق لي أن أسير طويلاً ، فنهاية سيري عند منعطف الشارع »

وكان ذلك منه اختلاقا ، وترددت الآنسة بادئ ذي بدء ، وكان من الواضح أن حرصها على ثوبها الجديد جعلها تتقبل في النهاية تلك التضحية . وأجابت

— « حقاً إن ذلك لعطف منك عظيم . لقد انهالت الأمطار فجأة ويلوح لي أنها لن تحتبس قريباً . إنني مدينة لك بالشكر »

فأجابها قيصر وفي نبرات صوته شجاعة الكرام

— « إنه أمر لا يستحق أن ينوه به »

وكان قد اعتزم السير ، فسألته الآنسة :

— « ولكن إلى أي مكان أرده ؟ »

فقال : « اسمي قيصر سمث »

وسرعان ما حدقت فيه الآنسة وقالت :

— « ما أروعه اسما ! قيصر ؟ »

وأجاب في تواضع القنوع : « أي ، ولماذا ؟ »

ثم فاه بكلام كبير المغزى إذ قال :

— « لا تكلفي نفسك مشقة ارجاع المعطف »

ثم سكت برهة وقال :

— « سأحضر بنفسي لآخذه »

فترددت الآنسة لحظة ثم قالت :

— « حسناً . إني أدعى شيلا هيرست وأسكن في شارع مونرو رقم ١١٤ »

وأسرع في ارتشاف ابتسامتها العذبة واستمر يتابعها بنظراته حتى أدركه جارف من الماء انساق اليه من حافة قبعته ، فذكره بأن الوقت قد حان ليرجع الى المنزل

وفي المساء التالي ذهب ليسترجع معطفه ؛ فتعرف الى المستر هيرست وزوجته ، وقد استبقياه لتناول الشاي . وفي خلال ذلك تعرف الى « المستر راند » الذي كانت له حظوة عند كل فرد من عائلة هيرست . وتراءى لقيصر أن تلك الحظوة وذلك العطف فيهما الكثير من المبالغة التي لا مبرر لها . وكان للمستر راند سيارة اتفق المجتمعون على أن يستقلوها الى الشاطىء . وهنالك لم يجد قيصر من يتحدث اليه غير المستر هيرست ، إذ أن راند كان يسير في صحبة « شيلا » على بضع خطوات خلفهما . ثم دعوا قيصر إلى العشاء في ذلك اليوم ، وفي خلاله اختصته شيلا بابتسامة عذبة

وانتهى الأمر بقيصر إلى هذا الحد . ومنذ ذلك اليوم وهو يحمل وجهاً عبوساً ، وما ذلك إلا لتأكده من أن مشاعره تحمل الحب لشيلا ، ولكن أي أمل له – وهو الموظف البسيط ذو الأجر الضئيل – في آنسة يبتغيها لنفسه رجل مثل « راند » الثري . وبالمال الوفير تستهوى كل آنسة ؛ ثم ماذا يقدمه لها

عوضاً عن المال ؟ أيقدم اسمه العظيم الذى لم يحسن حتى اليوم صيانته ؟ أم يقدم لقبه كرئيس لجمعية رماية القرص ؟ لا شك أن هذا وذاك لا يغرى ، وليس ثمة من فائدة ترتجى . أما لو كنت رئيساً أو وكيلا لرئيس أو على الأقل سكرتيرا لاحدى المؤسسات الكبرى ، وكان لدى ما فيه الكفاية من المال لما توانيت عن نقش اسمى ووظيفتى على قبعتى ، ولأمكننى إذن أن أفصح عما يخالج نفسى ، ولعرفت كيف أرفع من شأن اسمى . ولكن أى حال عليها أنا الآن ؟ قيصر ! ! لا شك أنه هزؤ وسخرية ، وما دمت موظفاً بسيطاً فى « محل دولتل وشركاه » فلست قيصرا بل مجرد « أنت ياسمث » أو « أى . أنت الذى هناك . . . » ذلك إذا ما أريد منى شىء

وانطوى قيصر على أفكاره ، ثم تذكر موعده فسار إلى منزل شيلا ، ولاحت له من بعد سيارة « راند » مستقرة أمام المنزل . والأولى أن نتناضى عما تم به ساعة أن رآها

وسألها « راند » أثناء تناول الطعام :

ــ إذن فستحضرين يوم السبت إلى ملعب كرة القدم ، حيث تشاهديننى فى الحفلة التى تقام ضد فرقة الأبطال الأندمين»

وأجابت شيلا : « نعم »

ونظرت إلى قيصر وقالت :

ــ « ولعلك تحضر أنت أيضاً ! »

وهز هذا رأسه وقال :

ــ « إننى آسف ، إذ أنى سأشترك فى اللعب »

وسأله « راند » : « أى شىء ، كرة القدم ؟ » ثم نظر إلى قيصر متعجباً من ضآلة جسمه وحقارة مظهره الذى لا ينم عن بطولة

واحمر وجه قيصر خجلا وقال :

ــ « كلا ، بل رماية القرص »

فقال « راند » هازئاً :

ــ « أى ، إنكم ترمون بذلك الطبق الصغير هنا وهنالك ، أليس كذلك ؟ لقد فعلت هذا يوم أن كنت صبياً . أما الآن فانى أجدها لعبة مملة »

وأجاب قيصر لفوره :

ــ « وكذا شأنى وكرة القدم . لقد كنت أبحث دائما عن لعبة تتجلى فيها المهارة . ولا شك أن قرصاً يرى ليصيب هدفا أدعى للمهارة والدقة من كرة تدفع بالأرجل لتتقدم فى السير »

وتدخلت شيلا فى ذلك الحديث الذى أخذ يشتد وقالت :

ــ « ألم نذكر شيئاً عن النزهة بالسيارة ؟ »

وتحمس « راند » وقال :

ــ « بلى ، دعينا نذهب إلى الشاطئ »

والتفتت شيلا لقيصر وقالت له :

ــ « وستكون بالطبع معنا »

وما إن وصلوا إلى الشاطئ حتى نزل ثلاثتهم من السيارة ، وأخذوا يتريضون فى طريق البحر ، وقد خلا من الناس أو كاد ، ولم يبق إلا بضعة أفراد متفرقين يستمتعون بالاستحمام فى البحر

وأرادت شيلا أن تطرق حديثاً لا يجر إلى المشادة ، فسألت :

ــ « هل يمكنك السباحة ؟ »

ولم يعرف كلاهما لمن وجه السؤال ، إلا أن قيصر بادر بالاجابة فقال :

ــ « قليلا ، إذ لم أتدرب عليها التدريب الكافى »

ثم قال « راند » :

ــ « وكذلك حالى ، إن لعب كرة القدم يستولى على كل وقتى ، ولهذا كانت ممرفتى بالسباحة ليست عظيمة للغاية »

وسألته شيلا ثانية :

ــ « وماذا أنت فاعل إذا رأيت رجلا يغرق ؟ وليكن على سبيل المثل ذلك الرجل » وأشارت بأصبعها إلى رجل يسبح على بعد غير كبير من الشاطئ

وأجاب « راند » فى لهجة الواثق من نفسه :

ــ « بالطبع أقذف نفسى فى الماء وأعود به إلى الشاطئ»

ونظرت شيلا إلى قيصر وقالت له :

ــ « وهذا ما أنت فاعله أيضاً ، أليس كذلك ؟ »

وتردد قيصر فى الجواب ورنا ببصره إلى ما وراءه فوجد قاعة فى مدخل البحر معلقاً بها « حزام النجاة » مشدوداً بحبل إلى القاعة . فقال :

ــ « كلا ، إننى لا أقذف بنفسى فى اليم إذ أنى لا أجيد السباحة ، ولا يمكننى أن أسدى للغريق نفعاً »

وصاح راند بصاحبه : « أى جبان ! » ضمنها شيئاً من السخرية

وحدقت شيلا فى قيصر ، الرجل الذى يحمل اسماً كثير الوعود والآمال . وسألته مرة أخرى :

ـ « إذن تتركه يغرق ؟ »

فأجاب قيصر : « كلا ! »

وقبل أن يتم حديثه أخذ السابح — وقد كان على وشك النسيان منهم — فى أن يثير المسألة بنفسه . وكانت مفاجأة تجلى ساعة أن رفع السابح ذراعيه فى الهواء وصرخ مستنيثاً . فنزع راند معطفه . ثم تردد وقال فى نفسه : هل من الانصاف أن أضحى بحياتى ؟ ولا شك أنه رأى فى هذه اللحظة الماء فى تلك البقعة أعمق منه فى المحيط ، ثم هو أصقع من ثلج القطب .

وحثته شيلا ، وقد بدأ القلق ينتابها :

ـ « أسرع ! ! انه يشرف على الغرق »

وصاح الرجل من الماء فى صوت يكاد يختنق :

ـ النجدة ، النجدة ! !

وصاحت شيلا مرة أخرى :

ـ « أسرع ، أسرع وإلا ذهبت أنا بنفسى اليه »

وقال لها قيصر بينما كان منافسه يتباطأ بشكل مزر ليخلع حذاءه :

ـ « قفى مكانك ! »

ثم انتزع « حزام النجاة » واتخذ موقفاً كالذى اعتاد أن يقفه فى عصر كل يوم سبت لرماية القرص . ثم رمى رميته فتطاير الحزام مع الهواء ورسم فى الفضاء قوساً عالياً ، ثم انبطح دفعة على الماء . وقد كاد يسقط على رأس المشرف على الغرق

وقال قيصر وقد تملكته السكينة والثقة بالنفس :

ـ « مصيب ! . . . يُقدَّر بنقطتين . . »

وكانت شيلا ترقب رميته وتتابعها بنظرات وجلة . فلما أن اقتيد الذى نجا وجيءُ به الى الشاطئ وأفرغ زفيره وتأوهاته ، سأل عمن رمى اليه بحزام النجاة ، فأشارت شيلا الى قيصر وقد تملكها الفخار

وحدق الرجل الذى نجا من الغرق فى قيصر وقال له :

ـ « ظننت حقاً أن حياتى قد انقضت ، إذ أصبت بتصلب فى الشرايين فجأة . . . لقد كانت رمية متقنة »

وأفصحت شيلا عن قيصر بقولها :

انه رئيس جمعية رماية القرص

وقال الرجل وقد أدرك سر الأمر :

ـ « آه ، لهذا كانت تلك الرماية محكمة . والآن اسمح لى أن أقول لك إنك أستاذ ماهر . ولو أنك لم تكن هنا لكنتُ الآن فى ناحية ما من قاع البحر . . . انني أود من صميم فؤادى أن أقدم لك خدمة بأى حال ، فعرفنى ماذا تريد »

وما فرغ من كلامه حتى أخذ ينظر الى قيصر من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، ثم سأله :

ـ أين تعمل ؟

فأجاب قيصر :

ـ « فى محل دولتل وشركائه »

ـ « واسمك ؟ »

ـ « قيصر سمث »

وقال الآخر بصوت خافت :

ـ « إن قيصر اسم بديع » ثم أفصح وقال : « واسمى بلوارك » وأعقبه قيصر متسائلا :

ـ « من مصنع ينيفرسال للسيارات ؟ ! » فقد كان اسم بلوارك معروفاً للجميع ، حتى لصبية الشارع

فقال هذا : ـ « نعم ، وإن لم تعلق أهمية خاصة على وظيفتك الحالية فانى أتقبلك فى محل عملى بكل ارتياح . إننى دائماً فى حاجة إلى شاب له قدرة على العمل فى الوقت المناسب والرجل العملى يجد عندى الطريق مفتوحاً أمامه . »

وأبرقت عينا قيصر وتمتم :

ـ « إذاً فلا أقل من سكرتير ! »

واتجه ببصره نحو شيلا التى كانت تحدق فيه طوال هذه المدة والاعجاب به قد تملكها

واندفع قيصر قائلاً وكأنه قد استقر على أمر

ـ « ليس من طبعى أن أستخلص الحوادث فأستثمرها لنفسى ، ولكن إن كنت حقاً فى حاجة إلىّ فانى أبحث عن وظيفة تمكننى من الزواج . »

ثم أخذ يد شيلا فى يده ، فما تراجعت ولا وهنت ، وكان ذلك أمام سمع « راند » وبصره الذى تبلبل وانطفأ منذ اللحظة الأولى لتلك الواقعة

وهكذا جاوز قيصر كل تقدير

نقلها عن الانجليزية ا . ا . ى

# البريد الأدبي

## نظرية النشوء بعد مائة عام

احتفلت جمعية علماء الزولوجيا « علم الحيوان » في لندن أخيراً بالذكرى المئوية لرحلة العلامة الانكليزي تشارلس داروين إلى أمريكا الجنوبية وجزائر المحيط الهادي؛ وقد أصبح اسم داروين في عصرنا علماً على نظرية النشوء والتطور التي تذهب إلى تسلسل الانسان من سلالة أحط من الحيوان، وأضحت النظريات الداروينية في ذلك علماً راسخاً، وكانت رحلة داروين الشهيرة التي كانت أساس مباحثه في « أصول الأنواع » في سنة ١٨٣١؛ وكان داروين يومئذ في الثانية والعشرين، وقد أتم دراسته الجامعية وملكه حب المباحث النباتية والحيوانية، فانتخب باحثاً طبيعياً مع جماعة من العلماء جهزتها جامعة كمبردج، واستقلت السفينة الشهيرة المسماة « بيجل » إلى أمريكا الجنوبية، ولبثت السفينة بيجل تطوف أرجاء المياه الأمريكية، ومياه المحيط الهادي حتى بلغت أقصى جزائرها المسماة « جلاباجوس »، وقطعت في هذه الرحلة نحو خمسة أعوام، ولم تعد إلى انكلترا إلا في سنة ١٨٣٦، وفي أثناء هذا الطواف كان داروين يجمع المعلومات والملاحظات الدقيقة عما رآه من الحيوان والنبات. وإليك ما يقوله لنا عن هذه المباحث في مقدمته لكتابه الشهير في « أصول الأنواع »:

« لما ركبت السفينة بيجل كباحث طبيعي، لفتت نظري بعض الحقائق الخاصة بتوزيع المخلوقات التي تسكن أمريكا الجنوبية وبالعلائق الجيولوجية بين سكان هذه القارة في عصرنا وبينهم في الماضي. وقد لاح لي أن هذه الحقائق قد تلقي بعض الضياء على « أصول الأنواع » أو مسألة المسائل كما سماها فيلسوف من أعظم فلاسفتنا؛ ولما عدت إلى الوطن سنة ١٨٣٧، فكرت أنه قد يمكن استخراج شيء في هذا الموضوع بجمع هذه الحقائق وتأملها، وبعد دراسة خمسة أعوام، سمحت لنفسي أن أتناول الموضوع وأن أكتب عنه بعض مذكرات، ثم استخرجت النتائج التي لاحت لي وجاهتها، وما زلت من وقتها إلى يومنا أتابع مباحثي في الموضوع »

وقد ضمن داروين مباحثه الأولى كتاباً سماه « رحلة السفينة بيجل » Voyage of the Beagle. وفي سنة ١٨٥٩ أخرج كتابه الشهير الذي يعتبر فاتحة عصر في المباحث الطبيعية، وهو كتاب « أصول الأنواع » Origin of Species، فأثار ظهوره أعظم اهتمام في الأوساط العلمية، وما زال داروين يشتغل بنظرياته ومباحثه في هذا الميدان لا يتحول عنها قط حتى أخرج في سنة ١٨٧١ كتابه عن « سلالة الانسان » Descent of Man؛ وفيه يتناول أصل الانسان ونشأته وتسلسله، ومن ذلك الحين اشتهر مذهب النشوء والتسلسل، وأثارت نظريات داروين في طبقات الكافة سخطاً واشمئزازاً لأنها لم تفهم على حقيقتها، بل فهمت على أنها تذهب إلى تسلسل الانسان من القرد. ولداروين مباحث وكتب أخرى في هذا الباب يضيق عن ذكرها المقام

## قاموس الأكاديمية الفرنسية

من المعروف أن الأكاديمية الفرنسية قد أنشئت في الأصل منذ ثلثمائة عام لتعنى « بتوسيع اللغة الفرنسية وتجميلها » حسبما ورد في قانونها التأسيسي. ومع أن الأكاديمية قد استحالت بمضي الزمن الى هيئة أدبية كبرى تقود الآداب الفرنسية وتجمع صفوة زعمائها، فانها لبثت مع ذلك تحرص على أداء المهمة الأصلية التي خلقت من أجلها، وهي تنقية اللغة وتحسينها وصقلها. وجهود الأكاديمية في هذا السبيل تبدو في القاموس الجامع الذي وضعته عن اللغة الفرنسية؛ وقد ظهر هذا القاموس في الصيف الماضي لمناسبة الاحتفال بمضي ثلثمائة عام على تأسيس الأكاديمية، والطبعة الحالية من القاموس هي الطبعة الثامنة، وقد بدئ في وضعها منذ سبعة وخمسين عاماً؛ ولولا أن لجنة القاموس ضاعفت جهودها في الأعوام الأخيرة لما ظهر هذا القاموس الشهير. على

أن الأكاديمية لقيت في وضعه صعاباً لا نهاية لها ، وخصوصاً في العصر الأخير حيث كثرت الاختراعات العلمية ، وتغيرت أوضاع الحياة ، وتغلغلت في اللغة تعبيرات وكلمات جديدة لا نهاية لها . ومع ذلك فان إصداره بعد هذه الحقبة الطويلة يعد عملاً من أعمال الأكاديمية نظراً لغزارته ودقته وجدته وبديع تصنيفه

## وفاة كاتب انجليزي

في الأنباء الأخيرة أن الكاتب القصصي الانكليزي الكبير سيلاس هوكنج قد توفي في الخامسة والثمانين من عمره ، وكان هوكنج من رجال الدين ، وتولى عدة مناصب دينية في شبابه ؛ ولكنه منذ سنة ١٨٩٦ ، نبذ حياة الكنيسة ، وخاض غمار الحركة السياسية ، ودخل البرلمان عضواً من حزب الأحرار ، وفي أثناء ذلك ظهر هوكنج بكتاباته ، واشتهرت قصصه ، وكان معاصراً لعدة من أكابر كتاب القصص مثل كونان دويل ، وجاز ورثي ، والسير هاجارد ، وجوزيف كونراد ، وستانلي وعان وغيرهم ، ولكنه لم يبلغ من القوة والشهرة مبلغ هؤلاء ؛ بيد أنه من كتاب هذه المدرسة البارزين . ومن قصصه الشهيرة : « آلك جرن » « رغم القدر » « ضوء الساحر » « الرجل الصامت » « المراقبون في الفجر » « يقظة أنتوني ور » وغيرها

## ترجمة لانسبوري بقلمه

المستر جورج لانسبوري زعيم حزب العمال البريطاني شخصية عظيمة في السياسة الانكليزية ، وفي المجتمع الانكليزي ؛ وقد نشأ عصامياً ، في أوضع البيئات والأوساط ، فاشتغل حمالاً للفحم ، وعاملاً ، وذاق شظف العيش والحياة الشاقة ، وهو اليوم في السادسة والسبعين من عمره ، ولكنه مازال جم النشاط يتزعم حركة المعارضة في البرلمان ، ويتزعم حزب العمال ، ويشرف على تحرير جريدة الحزب « الديلي هرالد » ، وقد أخرج أخيراً كتاباً يحتوي ترجمة حياته ؛ وفيه يصف حياة الأحياء والمجتمعات الفقيرة في مدينة لندن منذ ستين أو سبعين عاماً حينما كان يطوفها صبياً عاري القدمين ؛ ثم يصف أدوار حياته ، وكفاحه في سبيل رفاهة العمال ، ومثابرته على خدمة القضية التي مازال يخدمها . ويبدو مستر لانسبوري في كتابه رقيق العاطفة فياض الرحمة والانسانية ، والعطف على الفقير والبائس .

## مؤتمر للصحافة

عقد في منتصف شهر سبتمبر بمدينة لندن مؤتمر للصحافة باشراف معهد لندن الصحفي ؛ وأرسل مستر بلدوين رئيس الوزارة إلى المؤتمر رسالة نوه فيها بأهمية الصحافة ومسئوليتها العظيمة ، وتأثيرها القوي في تسيير الرأي العام وتقديره للشؤون العامة . والقيت في المؤتمر خطب عديدة نوه فيها بأهمية الصحافة الحرة ، وحاجتها إلى قانون تنظم فيه هذه الحرية ؛ ولما كان في القانون الجديد الذي صدر خاصاً بالنشر ما يتعارض مع هذه الأمنية ، فقد أعرب المؤتمر عن أمله في أن يترك للصحفيين حق تنظيم شؤونهم الخاصة ، وقرر السعي لدى البرلمان لحمله على تحقيق هذه الأمنية باصدار قانون جديد ، وقرر المؤتمر أيضاً أن ينشيء نظاما للمعاش يغذي الصحفيين العاطلين والمعوزين

## أوتوكار أوسترشيل

توفي أخيراً في براج عاصمة تشيكوسلوفاكيا الموسيقي الشهير أوتوكار أوسترشيل مدير المسرح الوطني ببراج ، وقد كان استرشيل زعيم المدرسة الموسيقية الحديثة في تشيكوسلوفاكيا ؛ ودرس في النمسا وألمانيا ، وظهر منذ شبابه بالبراعة في التأليف الموسيقي ، وله مؤلفات عديدة في الموسيقى وقطع موسيقية شهيرة ما تزال تحتفظ بروعتها وجدتها ، وكانت وفاته في عنفوان قوته وشهرته إذ لم يجاوز العقد الخامس إلا بأعوام قلائل




## وادى النطرون

### وتاريخ الأديرة البحرية

للأمير عمر طوسون

للأستاذ محمد بك كرد على

---

وضع الأمير تآليفه لخدمة مصر والسودان ، فهى الآن تملأ قمطرا جيلا من قماطر التاريخ والاجتماع والاقتصاد والمالية وغيرها . ومنها ما كتبه بالفرنسية (١) مذكراته فى فروع النيل فى القديم وعلى العهد العربى ( مجلدان ) ، و (٢) مذكرات فى مالية مصر منذ عهد الفراعنة إلى أيامنا هذه ( مجلد واحد ) ، و (٣) مذكرات فى تاريخ النيل ( ثلاثة مجلدات ) ، و (٤) كتاب فى جغرافية مصر فى عهد العرب ( مجلد واحد ) ، و (٥) عاقبة أسرى المماليك ، و (٦) بحث فى وادى النطرون ورهبانه وأدياره وغير ذلك . ومن تآليفه بالعربية (٧) كتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن (مجلد ضخم) ، و (٨) بطولة الأورطة السودانية المصرية فى حرب المكسيك ، و (٩) الصنائع والمدارس الحربية والبعثات العلمية فى عهد محمد على باشا ، و(١٠) الجيش المصرى ، و (١١) البحرية المصرية ، و (١٢) كتاب البعثات العلمية فى عهدى عباس الأول وسعيد ، و (١٣) يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ ؛ وغير ذلك من أبحاثه ومقالاته بالعربية والفرنسية مما ينشره فى الصحف والمجلات بالمناسبات

وآخر ما صدر من قلم الأمير بالعربية (١٤) « وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة » مذيلا بكتاب « تاريخ الأديرة البحرية » ، و (١٥) كتاب للباحث المطلع « المحزون » فى « ضحايا مصر فى السودان وخفايا السياسة الانجليزية » (طبعة ثالثة) طبع على نفقة دائرة سمو الأمير فى مطبعة السفير باسكندرية ، وقد قدم الأمير كتاب وادى النطرون إلى صاحب الغبطة الانبا يؤانس ( بابا وبطريرك الكرازة المرقسية الثالث عشر بعد المائة ) ودل المؤلف فيه على كثرة بحثه ودرسه وأنه خادم أمين لمصر وسودانها ، فى جميع المظاهر النافعة ، وأنه حسنة من حسنات مصر الحديثة ، ما أحرز شهرته العالمية إلا من طريق العلم والعمل والاخلاص لمصر خاصة ، والمسلمين فى الأرض عامة . فجزاه الله عن العلم أفضل ما يجازى من أخلصوا فى خدمته ، ونفع بثمرات اجتهاده مصر والمصريين

* * *

### من أفلاطون الى ابن سينا

للأستاذ جميل صليبا

---

نشر مكتب النشر العربى بدمشق ست محاضرات فى تلخيص فلسفة أفلاطون والفلسفة العربية وفى الفارابى والجمع بين رأيى الحكيمين أفلاطون وأرسطو ، وفى جمهورية أفلاطون والمدينة الفاضلة ، وفى نظرية الفيض Emanation عند ابن سينا ، أو صدور الموجودات عن الخالق ، وفى نظرية النفس عند ابن سينا ، وفى نظرية ابن سينا فى السعادة . قال المؤلف : إذا درسنا فلسفة ابن سينا رأينا أنها تختلف عن فلسفة أرسطو فى كثير من المسائل ، كفكرة الفيض ، وفكرة خلود النفس وغيرها ، وأن ابن سينا متفق مع أرسطو فى الطرائق والوسائل ، ويختلف عنه فى الغايات والمقاصد ، ولعله لم يبتعد عن أرسطو فى بعض المسائل إلا لتأثره بالوسط الاجتماعى ، ورغبته كالفارابى فى الجمع بين الدين والفلسفة ، فقد كان الفارابى يعتقد أن الفلسفة واحدة ، وأن مقاصدها الحقيقية لا تختلف عن مقاصد الدين . وكان ابن سينا يرى كابن الطفيل أن النبوة حالة طبيعية من أحوال النفس ، لا فرق بين الدين والفلسفة إلا من حيث الظاهر . وقال إن الجمع بين الدين والفلسفة كان من أكبر العوامل التى حدت بالفارابى وابن سينا أن يعرضا أحيانا عن أرسطو ويتبعا أفلاطون ، وقد سارا فى ذلك على طريقة فلاسفة الاسكندرية ؛ ووجدا فى ترجمة كتب أفلاطون خير معين على ذلك . وقد بسط صاحب هذه المحاضرات هذه المباحث بسطاً يقربه من الأذهان معتمداً على مصادر عربية وغربية ، فالشكر لعنايته وأدبه

## كتاب محاسن أصفهان

تأليف مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الأصفهاني

ويليه رسالة الارشاد في أحوال الصاحب الكافي اسمعيل بن عباد

صاحب كتاب محاسن اصفهان من علماء القرن الخامس للهجرة ، فارسي اصفهاني استعمل السجع في كلامه حتى كادت تضيع المعاني ، وكتب كتابه على بلده كتابة مبالغة وتمدح ، وفيه فوائد لمن تهمه أحوال تلك الديار في تلك العصور . ومما نقله المؤلف كتاب للحجاج . قيل إنه كتبه لوهزاذين يزداذ بن الأنباري ، وكان قريباً لكاتبه الجوسي الاصفهاني جاء فيه : أما بعد فاني استعملتك على اصفهان ، أوسع الأرض رقعة وعملاً ، وأكثرها خراجاً وأزكاها أرضاً ، حشيشها الزعفران والورد ، وجبلها الفضة والكحل ، وأشجارها الجوز واللوز والجلوز وما أشبهها ، والتين والزيتون والكروم الكريمة ، والفواكه العذبة ، وطيورها عوامل العسل . وماؤها الفرات ، وخيلها الماذيانات الجياد . . . فايم الله لتبعثن إليّ بخراج اصفهان كلها أو لأجعلنك طوابيق على باب مدينتها ، فاختر أوفق الأمرين لك ، فقد عظمت جنايتك عليّ وأسأت الى نفسك . . . » وساق المؤلف حديث « لو كان الايمان بناط بالثريا لتناوله رجال من الفرس أو قال من هؤلاء » . وذكر في جملة فلاسفتها ومهندسيها ومنجميها وأطبائها جماعة من اليهود منهم : يوسف اليهودي ، ويعقوب اليهودي ، والفرج بن سهل اليهودي ، الى غيرهم من المسلمين والمجوس ؛ وذكر في شعرائهم طائفة من الشعراء بالعربية وأخرى من شعراء الفارسية ، وكذلك من كتاب تلك العاصمة على اختلاف لغتهم

وذكر المؤلف ما في داخل أصفهان من الدور السرية وأن منها ما يصلح لأمير كبير ، وأن في أسواقها طرائف بغداد ، وخزوز الكوفة ، وديباج الروم وتستر ، وبزّ مصر وقباطيها ، وجواهر البحرين ، وآبنوس عُمان ، ونوادر الصين ، وفراء خراسان ، وخشب طبرستان ، وأكسية آذربيجان وأصوافها ، وفرش إرمنية ، وما يقاربها من الظروف والأواني والفرش والأمتعة والأثاث والعقاقير والأدوية والأخلاط والأبازير التي مساقطها من البلدان المتطارحة والأوطان المتنازحة ، ووصف جوامع أصفهان ومنها جامع الخصيب بن مسلم لا يصلي فيه في الصلوات الخمس أقل من خمسة آلاف رجل « وتحت كل اسطوانة منه شيخ مستند ينتابه جماعة من أهلها بوظيفة درس ، أو رياضة نفس ، تزيد بمناظرة الفقهاء ، ومطارحة العلماء ، ومجادلة المتكلمين ، ومناصحة الواعظين ، ومحاورات المتصوفين ، وإشارات العارفين ، وملازمة المتكفين ، إلى ما يتصل به وينضم إليه من خانكاهات وراء مرتفعة ، وخانات عامرة متسعة ، قد وقفت لأبناء السبيل من الغرباء والمساكين والفقراء ، ومحاذاه دار الكتب وحجرها وخزائنها اللواتي قد بناهن الأستاذ الرئيس أبو العباس أحمد الضبي وتضد فيها من الكتب عيوناً ، وخلدها من العلوم فنوناً . ويشتمل فهرستها على ثلاثة مجلدات كبيرة من المصنفات في أسرار التفاسير وغرائب الأحاديث ، ومن المؤلفات في النحو واللغة والتصريف والأبنية ، ومن المدونات من غرر الأشعار ، وعيون الأخبار ، ومن الملتقطات من سنن الأنبياء والخلفاء ، وسير الملوك والأمراء ، ومن المجموعات من علوم الأوائل من المنطقيات والرياضيات والطبيعيات والالهيات ، وبذلك أدركنا أن الجامع الأعظم ودار الكتب في أصفهان هما من الشاء المرب أيضاً

وفي الكتاب شعر كثير ، ومسائل أقرب الى أن تعد في باب الأساطير والخرافات منها الى أن تعد في التاريخ والأدب . وما كتاب محاسن اصفهان إلا صورة صحيحة من تآليف الفرس في ذلك العصر ، والمؤلف نفسه كثير المادة من الألفاظ ، ضعيف في السبك ، تقرأ العجمة في كل سطرين من كلامه . وقد طبع الكتاب في طهران الأستاذ السيد جلال الدين الحسيني الطهراني عن نسخة الميرزا جسنخان وثوق الدولة أحد زعماء السياسة في إيران ، كتبت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، وقدم له مقدمة عربية وختمها بقوله : « وإني مع قلة بضاعتي في الفنون الأدبية ، وكثرة اشتغالي بالعلوم الرياضية والفلكية ، أرجو من مطالعي هذا الكتاب العفو عن زلتي في تصحيح بعض مواقعه » وقد وضع للكتابين فهارس الأعلام والأماكن والقبائل وطبعته « مكتبة الاقبال » في عاصمة ايران . أما رسالة الارشاد فهي في مدح الصاحب بن عباد الوزير الكاتب المشهور تأليف أبي القاسم أحمد بن محمد الحسني الحسيني القوبائي الاصبهاني من علماء القرن الثالث عشر من الهجرة . فللناشر أطيب الشكر على عنايته

محمد كرد علي